Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 30:2 (1995

قضية اللفظ و المعنى و النقد الأدبي

محمد أمان صافى

تمهيد:

هذا البحث يتناول موضوعا فى النقد والأدب العربى يعد جانبا أساسيا فيه، وقد ظهرت لى أهمية هذا الموضوع من خلال قراءة المؤلفات العربية فى الأدب والنقد والبلاغة، يتبين منها مدى عمقه الذى يتسم به، ومدى تداخله فى القضايا الأدبية والبلاغية والنقدية فى العصور الأدبية المختلفة ذلك لأن موضوع قضية اللفظ والمعنى فى النقد العربى موضوع عربى قديم. رفع لواءها الجاحظ واضحا، ومن أتى بعده من علماء فنون النقد والبلاغة، إلا أنه يعتبر فى العصر الحاضر أحد الموضوعات الأدبية والنقدية الحديثة التى أثارها النقد المعاصر. واختلف الآراء فى تقدير هذه القضية الفنية، وفى تحديد تاريخها فى الأدب العربى قديما وحديثا، كما اختلفت هذه الآراء والنظريات فى تقدير إدراك النقد العربى الحديث لحقيقتها.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

كان النقد الأدبى قد أحس فى أوائل هذا القرن الذى يعد بدء بناء الحركة الأدبية، ودور الدراسة النقدية، والتفكير النقدى، وذلك بعد الحوادث القاسية التى صادفتها الأمة العربية والعوامل السياسية والاجتماعية التى أثرت فى تكوين وإبراز شخصيتها خلال القرن التاسع عشر. وفى أوائل القرن العشرين أحس النقد العربى كغيره من الفنون والعلوم والمعارف بحاجة ماسة إلى وضع وإحياء الأسس، وتوضيح المفاهيم، فى جميع الميادين التى تمس حياة الإنسان العربى، أو تمس فكره وفنه، وقضية اللفظ والمعنى من القضايا الأدبية التى شغلت النقد والنقدة العرب منذ عهد مبكر ولذلك بدأ يتجه إلى مناهل الثقافة الأجنبية التى سبقتنا إلى الأخذ بأسباب الرقى والنهضة والتقدم، ليبحث عن مقاييس الفن الأدبى بصفة عامة وفى الأدب العربى بصفة خاصة، وبالأخص فى النقد الأدبى الذى منه هذه القضية.

وقد اختلفت آراء العلماء والأدباء والكتّاب والباحثين، من روّاد النقد الأدبى الحديث، من ناحية، والمحققين من أنصار القديم من ناحية أخرى ـ حول قضية اللفظ والمعنى فى الفن الأدبى وفى مفهوم تحديد إطارها التاريخى، فانقسموا إلى فريقين:

فريق من العلماء والباحثين يرى أنها قضية قديمة، قدم الفن نفسه، ومن صنع الإغريق، وقد عرفها علماء العرب، كما عرفتها الفنون العربية عن طريق ترجمة الآثار الإغريقية إلى اللغة العربية.

وقد دأبت الدراسات الأدبية النقدية الحديثة على ترديد هذه القضية مصورة موقف بعض النقاد منها على أنها قضية قديمة قد تناولها الأدب الإغريقى القديم، وقد ظل هؤلاء النقاد متمسكين بموقفهم النقدى من أن هذه القضية الفنية قد سارت فى ركاب الأدب الإغريقى القديم دون غيره من الآداب القديمة. وقد تمادت الدراسات الأدبية عند البعض فى تثبيت هذا التصور إلى حد القول بأنه لم يكن للآداب الأخرى العربية وغير العربية دور يذكر فى هذا المجال. وبناءاً على ذلك راحوا يحشدون النصوص الإغريقية التى تشير إلى هذا المعنى فى هذه القضية من بعيد أو قريب.

ولكن هذا الفريق من الدعاة والنقاد خالفهم الحظ فى إصدار الحكم العادل أثناء الاطلاع على أصول النقد العربى، والوقوف على مذاهب أصحابه الشهيرة، ولو أنهم بذلوا جهدا منصفا فى هذا السبيل. أو تركوا تقليد الغرب. لوصلوا إلى الحقيقة وهى أن هذه القضية الأدبية ـ قضية اللفظ والمعنى ـــ قضية عربية بحتة؛ نشأت عربية وعاشت عربية ولم يقم الإغريق بإثارتها بهذه الصورة التفصيلية قبل علماء النقد العربى، فهى من صنع أدباء العرب ونقادهم وليست من صنع اليونان الأقدمين وفلاسفتهم، كما يدعون.

أما النصوص الإغريقية التى حشدوها، فهى وإن تكن نصوصا معدودة واردة فى الأدب الإغريقي القديم، فإنها مع ذلك تؤكد إخلال هذه القضية بشروط القراءة المتأنية المنصفة اللازمة لقراءة النقد العربى، ومقارنته بالأدب الإغريقى دون انحياز إلى طرف.

ويمكن التأكد من هذا باستعراض نماذج من تناول الدارسين لهذه القضية، فقد اكتفى هؤلاء الدارسون ببضعة نصوص إغريقية غامضة، قد تحمل بعض الدلالة على هذه القضية، أو تحمل بعض الإشارات إلى هذه المسألة الأدبية فى مآخذ معينة ليست مقصورة على الأدب الإغريقى القديم، وبخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار الأدب الآرى (الأفغانى - الإيرانى) القديم كما سيأتى مثال لذلك فيما يأتى من السطور بعد قليل.

وفريق آخر من المحققين والباحثين والعلماء أثبت أن النقد العربى هو مصدر هذه القضية الهامة فى الحقل الأدبى والنقد العربى. وعلى رأس هذا الفريق من النقاد فى العصر الحاضر الدكتور محمد نايل فى كتابه: "نظرية العلاقات أو النظم بين عبدالقاهر والنقد العربى الحديث".

ومن هنا يجيئى دور هذا المنهج الذى أراه ملائما فى دراسة مثل هذه الموضوعات الأدبية فى الأدب العربى، وفى ضوء هذا المنهج علينا استعراض نماذج من المواقف العامة لأعلام النقاد، وذلك فى مواجهة الدعوى المتكررة التى تقام لإثبات نسبة هذا الموضوع إلى الإغريق وحدهم، وتصحيح هذه الفكرة الأدبية الشائعة بين بعض النقاد العرب الذين يصرّون على نسبة قضية اللفظ والمعنى وغيرها من الموضوعات الأدبية والنقدية وحتى النحوية إلى الإغريق وفلاسفتهم، وتفضيلهم على غيرهم من الأدباء وآدابهم التى لها دورها البارز فى هذه القضايا الأدبية.

و وفقا لمنهجى هذا قد حاولت فى بحثى وحرصت فيه كل الحرص أن أعرض هذه القضية ـ قضية اللفظ والمعنى ـ فى ثوبها الحديث والقديم ـ عربية ـ وأن أربط بين هذين فى هدوء وفى شيئ من التدليل والتحليل، وبشيئ بسيط من الموازنة والمقارنة بين الآراء المختلفة، وأن أضع النظريات القديمة والحديثة ـ عربية وغير عربية ـ كاملة بين أيدى القراء والباحثين، ليدرسوها كما درستها ويفحصوها كما فحصتها، ولنصل من هذا الفحص وتلك الدراسة، وفى شيئ من الهدوء المدلل عليه إلى النتيجة التى توصل إلى الحقيقة، حول قضية اللفظ والمعنى ـ إحدى قضايا النقد الأدبى فى إطارها العربى.

ونظرا لشدة الارتباط بين قضية اللفظ والمعنى، وبين نظرية النظم (العلاقات) جعلت للبحث فصلين: الفصل الأول فى اللفظ والمعنى، وقد تحدثت فيه عن هذه القضية بقليل من التفصيل، والفصل الثانى فى نظرية النظم (العلاقات) وحاولت أن أتناول نظرية النظم بإيجاز خوفا من الإطالة المملة فى مثل هذه الموضوعات.

(١)

قضية اللفظ والمعنى

الإغريق وقضية اللفظ والمعنى:

قبل أن أتحدث عن قضية اللفظ والمعنى فى الأدب العربى قديما وحديثا وقبل الدخول فى التفاصيل الخاصة بها، أرى من الأفضل والأنسب تناول هذه القضية، وكشف تاريخها من خلال

تاريخ الأدب الطويل لنسير فى بحثنا هذا على خطوات من التاريخ الأدبى والحقيقة النقدية والفلسفة البلاغية جنبا الى جنب.

أرسطو وقضية اللفظ والمعنى:

أكثر العلماء والباحثين الغربيين وأمثال الغربيين السائرين فى طريقهم، يعتقدون اعتقادا جازما بأن أول من تكلم عن قضية اللفظ والمعنى فى الفن الأدبى هو الفليسوف اليونانى أرسطو، وبعضهم لايقف عند هذا الحد والاعتقاد. بل يتجاوز أرسطو إلى أستاذه أفلاطون مبلورا نظريته فى الشكل والمحتوى قائلا: "المحتوى والشكل لاينفصلان، والمحتوى هو الشكل والشكل هو المحتوى". ولكن هذا الاعتقاد فى نظرى موضع شك يكاد يكون يقينا، وذلك لسؤال بسيط هو: لماذا يفضلون الإغريق أو الثقافة الإغريقية القديمة على غيرها من الثقافات والمعارف التى كانت موجودة وسائدة فى ذلك العصر فى أنحاء العالم القديم؟ ولماذا يرجعون كل فضيلة ثقافية وفلسفية، وكل فضيلة أدبية وعلمية إلى الإغريق الأقدمين وثقافتهم وأدبهم وفلسفتهم دون غيرهم من أهل العلم؟ ومما لاشك فيه هو أن للإغريق الأقدمين فضلا فى كثير من الميادين الثقافية والأدبية وفى علوم أخرى فلسفية وغير فلسفية إلا أنه ليس معنى هذا بأن شعوبا أخرى لم يكن لها أى فضل أو فضيلة علمية فى ذلك العصر الغابر، فمن الظلم المكشوف أن ننسب ما ابتكره غيرهم من النظريات العلمية والثقافية إلى هؤلاء الإغريق الأقدمين. وفيما يأتى مثال واحد

من أمثلة كثيرة أقدمه كنموذج للمقارنة بين النحو أو الأدب الأفغانى القديم والإغريقى القديم.

مقارنة بين الأدبين أو النحوين الآرى والإغريقى:

مثلا عاش فى شرق آريانا (أفغانستان اليوم) وبالتحديد على ساحل نهر أباسين عالم آرى، يدعى بانينى (PANINI) فى حوالى عام ٤٠٠ق م تقريباً كما يقول الأستاذ حبيبى، وقد قام على وضع قواعد اللغة السنسكرتية القديمة بمهارة فائقة لا يوجد لها مثيل فى الأصالة اللغوية، حيث أنها خالية تماما من فلسفة اللغة، بخلاف النحو الإغريقى، ويعتبر كتاب بانينى من أروع الكتب فى القواعد (النحو) وأنفسها فى تاريخ النحو وأصول القواعد الصرفية والنحوية، وذلك لأنه إلى حين تأليف بانينى لم يتم تشريح وتقعيد أية لغة من لغات العالم على تلك الأسس اللغوية الأصيلة التى يبنى عليها بانينى قواعده فى اللغة وأصولها المتينة. ويقول العالم الأمريكى الشهير ليونارد بلومفيلد (LEONARD BLOOMFIELD) أن كتاب بانينى (العالم الآرى) من أحسن الكتب وأجودها فى القواعد الأصيلة النقية، ولا يوجد فيه أى نوع من آثار الفلسفة اللغوية على الإطلاق وذلك بخلاف القواعد عند الإغريق فى عصره، حيث كانت لا تخلو عن الفلسفة، كقواعد أفلاطون وكريتالس فى اللغة[١].

وقد ذكر بانينى فى كتابه المقالات الثمانية (الأبواب الثمانية) أربعة وستين عالما من علماء آريانا (أفغانستان اليوم) الذين قاموا قبله بمجهودات علمية ضخمة فى هذا السبيل، كالعالم الآرى الشهير

ساكاتايانه (SAKATAYANA) والعالم الآرى الصوفى ياسكه (YASKA) وغيرهما، وقد وضع ياسكه (YASKA) هذا لأول مرة فى التاريخ، نظريته المشهورة فى اللغة السنسكرتية، بأن الاسم مشتق من الفعل، كما قام العالم الآرى الشهير والناقد القديم بتانجالى (PATANJANLI) فى حوالى عام ١٥٠ ق م بشرح كتاب بانينى على أصول نقدية دقيقة، فقام بشرح ونقد ١٧١٣ قاعدة من مجموع قواعد بانينى البالغ عددها ٤٠٠٠ قاعدة. كما قام قبله العالم الآرى كاتايانه (KATAYANA) بشرح كتاب بانينى[٢] شرحا مفصلا، فمن المحتمل أن يكون هؤلاء العلماء الآريون قد تناولوا موضوع اللفظ والمعنى أوالشكل والمضمون فى دراساتهم النقدية والأدبية وأثناء شرحهم لكتاب بانينى.

ولو ذهبنا إلى ما قبل هذا العالم الآرى بانينى ودققنا النظر فى الأدب الآرى القديم لوجدنا أن أقدم كتاب الآريين الأدبى "الويدا" قد وضع قبل الميلاد بخمسة عشر قرنا حين كان الآريون يعبدون مشاهد الطبيعة ويقدسونها، وأن كل شيئ فى هذا السفر الذى يعتبر توراة الآريين مصنوع، مصوغ، محبوك، الأمر الذى يرينا أنه من وضع أدباء نبهاء، وشعراء أذكياء يتصفون باتقاد الخيال والقريحة فى الصياغة الأدبية، وبالتالى لم يصدر عن أدمغة أناس رعاة فطريين، وأنه أثر من آثار أمة ذات حضارة وماض تليدين.

كان الريشيون (الشعراء) الآريون يختارون موضوعاتهم فى العقيدة، وأفكارهم فى الأدب، وصورهم فى الشعر والفن من الأشياء

المألوفة، والمفاهيم البسيطة، نظرا لشعورهم الدينى الرفيع، بيد أن هذه البساطة فى انتقاء الموضوعات والأفكار والصور لا تحط من قدر انسجام الأناشيد بين الألفاظ والمعانى، حيث كان الشاعر الآرى يعرف جيدا كيف يرفع بمهارته الفنية من شأن أكثر المعانى والأفكار إبتذالا،وكيف يستخرج من المشاهد الطبيعية، والنظائر العادية أروع النتائج، وأجمل الصور، وأدق المعانى، وذلك باتساق الكلمات والمفردات، وصياغة العبارات والصياغات فى ترنحات الأناشيد وتراكيبها الأدبية. ومن هذه الأناشيد وما فيها من التأليف والتماسك بين اللفظ والمعنى والصياغة، نستطيع أن نقدر عناية الشعراء فى أفغانستان الآرية بالصور والمعانى، أو بالأشكال والمحتويات فى الصورة الأدبية، ونستطيع كذلك أن نقدر غنى الأدب الآرى فى العصر الويدى.

فهل من الانصاف بعد هذا نسبة نظريات الآريين إلى الإغريق، كما ينسب البعض قضية اللفظ والمعنى العربية إلى الإغريق الأقدمين؟

مناقشة الرأى القائل بإغريقية اللفظ والمعنى:

هذا وقد ظلت هذه الفكرة التى تنسب إلى أرسطو الإغريقى الابتكار فى قضية اللفظ والمعنى، تسيطر على بعض النقاد من العرب الذين يرون فى الأدب اليونانى القديم المثل الجديرة بالاحتذاء فى الفنون الأدبية والنقدية حتى عهد قريب.

وكلام أرسطو فى قضية اللفظ والمعنى، هو كلامه حول نظرية المحاكاة فى الفنون عامة، ونظرية الإلهام أو الصنعة فى الفن

الشعرى خاصة وهاتان النظريتان بعيدتان كل البعد عن نظرية اللفظ والمعنى، أو الصورة والمضمون[٣].

إن أرسطو وحتى أستاذه أفلاطون لم يبحثا قضية اللفظ والمعنى يفاضلان بينهما من ناحية القيم الجمالية والفنية، كما قام بها العرب ونقادهم، بل نرى أرسطو مهملا شأن اللفظ، ولا يعتمد إلا على المعنى وحده تقريبا[٤]. أما قضية اللفظ والمعنى من الناحية الجمالية والفنية البحتة وبهذه الصورة الهائلة، فإننا لا نجد أثرا لدراستها وبحثها فى كتب أرسطو، أو فى أفكار أستاذه أفلاطون.

ولنفرض بأن الإغريق تحدثوا عن قضية اللفظ والمعنى، بأىّ صورة من الصور، أو بأىّ شكل من الأشكال فإن العرب لم يتأثروا بنظرياتهم الأدبية النقدية وذلك لسبب واضح.. وهو أن حديث النقاد العرب عن قضية اللفظ والمعنى، سابق على ترجمة كتب أرسطو إلى اللغة العربية..

ومما يؤكد أيضا أن قضية اللفظ والمعنى قضية عربية أصيلة، وليست دخيلة، هو أن اللفظ العربى ـ بطبيعته ـ يمتاز عما سواه من الألفاظ بجمال فطرى داخل تكوينه العربى، ويعطى أو يمنح هذا الجمال الفطرى التكوينى الفريد فى إفراده وفى تركيبه معا، الأمر الذى دعا المرحوم العقاد إلى أن يؤلف كتابه المشهور "اللغة الشاعرة"، ومادام الأمر كذلك فلا شك أن النقاد العرب تنبّهوا إلى هذه الميزة فى طبيعة اللفظ العربى وتكوينه الفطرى، والتفتوا إلى جرسه الجميل ومعناه الحلو وإلى نبراته العذبة للتعبير عن المعنى،

وقاموا بفتح الباب لهذه القضيـة الفنيـة الدقيقـة وأدخلوهـا فـى تـاريخ النقد والأدب العربيين غير متأثرين فى ذلك بالشرق الآرى (الأفغاني - الهندى - الإيرانى) والغرب الإغريقى.

يقول الدكتور محمد نايل فى كتابه "العلاقـات" حـول قضيـة اللفظ والمعنى عند الإغريق الأقدمين "ولقـد حـاولت أن أجـد كلامـا محدداً احول قضية اللفظ والمعنى عند أرسطو أو أستاذه، يبين مـدى اختلافهما حولها كالخلاف الذى قام حولهـا عنـد نقـاد العـرب فلـم أجد، بل وجدت مايدل على أن خلافا كهذا لم يقع عندهما".

يستنبط الأستاذ الدكتور محمد نايل من هذه العبارة التى نقلها أو نقل معناها من كتاب "المدخل" للدكتور محمـد غنيمـى هـلال ـ يستنبط منها قائلا: "ومعنى ذلك أن المعركة فى هذه القضيـة النقديـة الهامة معركة عربية حمل لواءها الجاحظ، ثم من جاء بعـده، وبرغـم ذلك تكاد تحس برغبة باطنية ملحة لـدى بعـض كتابنـا فـى النقـد أن يجعلوا هذه القضية قديمة من عهد أرسطو..."(٥).

ومن الحق أن نقول إن خلافا كهذا حول قضية اللفظ والمعنى لم يقع بين أرسطو وأستاذه أفلاطون، أو بينـه وبيـن غيره مـن علمـاء عصره الإغريق الأقدمين، إن الأدب اليونانى القديم، لـم يكـن يعـرف هذه القضية النقدية المعروفـة فـى عصرنـا العربـى القديـم والحديـث، معرفة واضحة جلية، وكلما نجده حول هذه القضية فى كتـب الأدب اليونانى القديم، محاولات واستنباطات، قام بها أنصار الأدب اليونانى القديم من الغربيين، والمتشبهين بهم من العرب وغيرهم معتمدين فـى

محاولاتهم واستنباطاتهم هذه على إشارات غامضة وردت فى كتب أرسطو لا تغنى عن الحق شيئا. يقول الدكتور المرحوم محمد غنيمى هلال مثلا: إن "قضية اللفظ والمعنى من مسائل علم الجمال الحديث، وشغل بها الأقدمون قبل أن يعالجها العرب..."(٦).

ومع احترامى الفائق للدكتور محمد غنيمى هلال رحمه الله لجهوده العلمية والفنية الجبارة فإنه فى هذه العبارة يناقض نفسه ويناقض كلامه بكلامه حيث أنه يصف قضية اللفظ والمعنى فى أول عبارته التى نقلتها لكم بأنها "من مسائل علم الحديث" ثم يعود بعد قليل فيقول فى آخر العبارة المذكورة: "شغل بها الأقدمون قبل أن يعالجها العرب"، فقضية اللفظ والمعنى قديمة شغل بها الأقدمون، وحديثة من مسائل الفن الجمالى فى العصر الحديث، أليس هذا هو التناقض؟؟

ويقوم بعد هذا التناقض الصريح بنقل نصوص أدبية من كتاب أرسطو، ويحمل عبارته شيئا كثيرا لا تتضمنه تلك العبارات، ولن يرضى به أرسطو نفسه، محاولا استنباط قضية اللفظ والمعنى من تلك الإشارات الغامضة جاءت فى تلك النصوص، ولقد حاولت بعد أن قرأت كتاب الدكتور غنيمى التى هلال أن أجد نصا صريحا أو على الأقل إشارة واضحة بهذا الشأن، فى تلك النصوص أو فى كتاب أرسطو فلم أجد ذلك أبدا.

يقول غوستاف فون غرنباوم: ".... أما الجمال المرغوب فى الشعر فيحدده النوع الثانى، وهو طبيعة النظر إلى الشكل والمحتوى.

وتلك نظرة أرسطوطاليسية مؤداها أن الشكل كيان مستقل فى ذاته، مقدور له بنوع من التعسف أن يرتبط بالمحتوى....."[٧]. ثم يمضى قائلا: ".... وكل النظرية الأدبية عنده تستند ــ عمليا ــ إلى هذا الاعتقاد فالمحتوى أو ما يسمى المعنى يرى شيئا قائما بذاته ويمكن أن يعرض بأساليب مختلفة. حتى ليقول القزوينى (٧٣٩-١٣٣٨) مثلا فى تعريف البلاغة، بأنها العلم الذى يرشد المتعلم إلى أساليب الكلام المختلفة التى تتميز فى المقام الأول باستعمالها للصور المجازية"[٨].

ويقول بوملر الألمانى مبلورا نظرية أفلاطون فى اللفظ والمعنى: أو الشكل والمحتوى: "المحتوى والشكل لاينفصلان، والمحتوى هو الشكل، والشكل هو المحتوى".

وكذلك يقول المستشرق غوستاف فون غرنباوم: ".... وقد حاول قدامة بن جعفر (٢١٣-٢٧٦هـ = ٨٢٨-٨٨٩م)[٩] أن يطبق الدراسات البلاغية التى كتبها الإغريق على الشعر العربى، وكانت هى المحاولة الأولى والأخيرة من هذا النوع التى لم يكتب لها الإخفاق التام"[١٠].

وفى نظرى أن هذه الأقوال كلها تدل دلالة واهمة واهنة على أن أرسطو قد تحدث عن قضية اللفظ والمعنى بالصورة التى تحدث عنها النقاد العرب، كما يتوهم منها أن أستاذ أرسطو أفلاطون قد تحدث أيضا عن هذه القضية الأدبية، وكأنهم سيطر عليهم وهم خطير أن أسلاف العرب وأسلاف غيرهم من الأقدمين، لايهتدون

لفكر جديد أو رأى حديث يستقلون بـه، وأن كـل مـا عنـد أسـلاف العـرب وأسـلاف غـيرهم مـن الشـعوب القديمـة فـى العـالم القديـم والحديث، منقول إليهم عن طريق الإغريق الأقدمين[١١].

وعلى سبيل الفرض المحال، لـو سـلمنا معهـم مؤقتـا وهمهـم الخطير هذا بأن أفلاطون وتلميذه أرسطو تحدثا عن هذه القضية، ولو بإشـارة عارضـة عـابرة وغامضـة، فـإن خلافـا ــ حـول قضيـة اللفـظ والمعنى ــ لم يحدث بينهما على الإطلاق كما هو الحال فـى الأدب العربى. وعلى هذا فإن العرب هـم الذيـن قـاموا بتطويـر وبلـورة هـذه القضية النقدية، بحيث أنهم أصبحوا حقيقـة أصحابهـا. "إن المعركـة فى هذه القضية النقدية الهامة معركة عربية حمل لواءها الجاحظ ومن جـاء بعـده[١٢]. ومعنـى هـذا أن الجـاحظ حمـل لـواء خلافهـا، وقـام بإثارتها بالشكل الذى نراها عليه فى تاريخ الأدب العربى.

ويلاحظ هنا بعد هذه المناقشـة بـأن أكـثر العلمـاء والبـاحثين يتفقون على أن التراث اليونانى القديم، قد أثر تأثيرا بالغا فـى التفكـير العربى بصفة عامة، وفى العلوم الفلسفية بصفة خاصة لما له ــ للتراث اليونانى ــ من طبيعة التحليل والاستقصاء مـن جهـة، ولترجمـة كتـب أرسطو فى الفلسفة والخطابة والشعر من جهة أخرى، وقد قام جميـع أو أكثر من اشتغل فى الحقل الأدبى والنقدى بمعالجة مشـكلة اللفـظ والمعنى نقلا عن الإغريق، أو احتذاءا لمنطقهم فى التفكـير والتحليـل والتدليل والمناقشة.

أوافق مبدئيا على أن التراث اليونانى القديم قد أثر فى التفكير العربى، بعد ترجمته إلى العربية، ولكن التأثير العام فى التفكير شيئ، والتأثير أو عدمه فى قضية خاصة شيئ آخر. فتأثير الفكر اليونانى فى الفكر العربى الفلسفى لايستلزم التأثير فى الفكر الأدبى مثلا وإذا كان هناك أىّ نوع من التأثير فى الأدب العربى، فقد كان ذلك فى المرحلة المتأخرة من الأدب العربى ولا يتجاوز بعض الاصطلاحات المنطقية التى نجدها عند أبى تمام وغيره من شعراء عصره. وهذا لا يعتبر تأثيراً فى الأدب. ولا يعنى أبدا بأن الإغريق أصحاب كل فكرة جديدة فى المعارف الإنسانية.

خلاصة القول:

إننا نخرج من هذا العرض السريع لقضية اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون أو الصورة والمحتوى، بأن تلك الحركة الأدبية أو النقدية التى سبقت عصر الجاحظ وغير الجاحظ من علماء عصره قد انتجت مجموعة من المقاييس الأصيلة التى قد جعلت الجاحظ، وغير الجاحظ ينظر إلى القضايا النقدية الهامة التى بحثوها، ووضعوا لها أصولا وقواعد فى عصرهم، ثم بنى عليها النقاد فيما بعد نقدهم، نقدا بعد نقد، ودراسة بعد دراسة، عربية خالصة. وعلى منبهات الجاحظ وغير الجاحظ فى هذه القضية بالذات بدأ النقاد العرب بتناولها تناولا عربيا، وعلى منبهات الجاحظ وغير الجاحظ فى أصول النقد العربى بصفة عامة. بدأ النقاد العرب ينزلون الشعراء والأدباء والكتاب منازل حسب درجاتهم وتقديرهم، ويتناولون القضايا الأدبية والنقدية

الأصيلة منها والمترجمة، تناولا عميقا، كل قضية حسب أهميتها ودرجتها فى التأثير والتأثر، وإن اختلفوا فى ذلك، ولكنهم - على ما اعتقد واجزم به غلب عليهم جميعا المقياس التاريخى العربى الأصيل، وقدموه على غيره، وقضية اللفظ والمعنى داخلة فى هذه القضايا النقدية والأدبية مثلها فى ذلك مثل قضية الوحدة الفنية وغيرها من القضايا الأدبية الهامة. وعلى هذا تنافس النقاد والباحثون فى دراسة تلك القضايا النقدية والأدبية، كل قضية حسب درجتها وأهميتها كما أشرت إليها آنفا.

هذا بالإضافة إلى: "أن الزمن وحوادث الزمن قد عبث بالتراث اليونانى أى عبث، فالناقد الإنجليزى العظيم وأستاذ النقد بجامعة لندن لاسل ابركرومبى - يرى أن "معظم آثار أرسطو التى وصلت إلى أيدينا.. عبارة عن مذكرات كتبها هو أو أحد تلاميذه، وأن كثيرا ما تكون مقطوعة مبتورة مشتتة الأجزاء، موجزة فى بعض المواضع إلى درجة مخلة، كثيرة الخروج عن الموضوع فى أماكن أخرى تاركة بعض الآراء الهامة بلا شرح ولا أيضاح"(١٣).

إن المسايرة مع هذه القضية النقدية رحلة أدبية شاقة وممتعة فى آن واحد، أرجو ـ على قصرها ـ أن تكون كافية فى توضيح ما أردت الكشف عنه من حقيقة مواقف بعض النقاد العرب من هذه القضية الأدبية، وقد اتضح لنا، أن هذه القضية النقدية لم تكن بحال من الأحوال قضية أدبية انفرد بها الإغريق وحدهم، بل على العكس من ذلك فقد كانت قضية أدبية عامة اشتركت فى تناول بعض

جوانبها الأدبية الآداب القديمة عامة.. لا فرق فى ذلك بين الآداب الإغريقية والآرية. أما بالشكل الموسع الذى نراها عليه فى هذه الدراسة النقدية فإنها قضية عربية بحتة، وهى الحقيقة التى تدخلت فى طمسها عوامل كثيرة من اللبس، وعبث حوادث الدهر، والتعجل فى فهم الموضوع، والخطأ فى التوجبه، وعدم التوفيق فى إصدار الأحكام العادلة، وعدم التنبيه إلى المهام العديدة المتباينة التى فرضت على بعض النقاد كثيرا من التعارض الذى يساعد على إبراز هذه القضية كقضية إغريقية انتقلت إلى الأدب العربى. وفيما يلى مزيد من التفاصيل الخاصة بالقضية فى ثوبها العربى.

قضية اللفظ والمعنى عند العرب

متى ظهرت مشكلة اللفظ والمعنى؟:

لم تظهر مشكلة اللفظ والمعنى، أو قضية الشكل والمضمون فى العصر الجاهلى ولا فى صدر الإسلام الأول، بحكم أمية العرب وتلقيهم اللغة العربية بالسماع والممارسة، لا بالتعليم والمدارسة، ومن هنا نستطيع القول: إنها مشكلة أو قضية إسلامية عربية، ظهرت واضحة فى العصور الإسلامية، وبالتحديد فى العصر العباسى الأول بعد أن اتسعت الثقافة العربية واشتملت على آفاق علمية وأدبية جديدة.

وهل نتصور أن امرأ القيس وغيره من الشعراء الجاهليين كان فى إمكانه أن يجيب لو سئل عما يعجبه فى الشعر الذى يسمعه، أو

يقوله.. هل محل إعجابه فى الشعر هو اللفظ أو المعنى؟ أعتقد اعتقادا يصل إلى درجة اليقين، بأنه ما كان يفهم معنى لهذا السؤال، كما أننا لو وجهنا هذا السؤال نفسه إلى شخص أو شاعر أمى الآن ـ وقد قمت بهذه التجربة فى أفغانستان ـ فهو لن يجد فى نفسه وفى مخيلته. الإجابة الصحيحة التفصيلية لسؤالنا هذا، كما يفعل ذلك العلماء والشعراء المثقفون، لا يمكنه أن يقول شيئا اسمه اللفظ والآخر اسمه المعنى وكل ما فى الأمر أن الحياة تدعوه إلى القول فيقول ويتكلم. ويسمع الكلام فيرتاح إليه أولا يرتاح، وهو يحكم على من يجيد الكلام بأنه "يشرب المجلس" ولكن بم؟ وكيف؟ لايعرف لذلك سرا أو سببا.

خذ مثالا لذلك فى الجاهلية. النابغة الذبيانى[١٤] يحكم فى الجاهلية بأن الخنساء ـ مثلا ـ أشعر من أنشده، من غير بيان لسبب من لفظ أو معنى، ولا صحة للتفصيلات النقدية العلمية التى وردت فى الرواية المنسوبة إليه فى نقد بيت حسان بن ثابت(١) شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام:

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ذلك لأنه عصر لايزال يفهم الأدب فيه على أنه كل، ولم تفهم النظرية التفصيلية الجزئية أو التحليلة الدقيقة إلا فى العصور التالية ـــ عصر التأليف والتعليم والتحقيق. وعند التعليم والتأليف والتدوين لابد من التجزئة والتحليل والتدقيق. فهل من الممكن فى ذلك العصر الجاهلى تصور هذا التفريق الدقيق بين المفردات الآتية

على الأسس العلمية الثابتة: جفنات وجفان، أو يلمعن ويضئن، أو الضحى والليل؟؟

ومثال آخر من العصر الإسلامي. روى عن ابن الأنبارى أنه قال: ركب الكندى المتفلسف إلى أبى العباس المبرد وقال له: إنى لأجد فى كلام العرب حشوا ـ فقال له أبو العباس فى أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبدالله قائم، ثم يقولون: إن عبدالله قائم ثم يقولون: إن عبدالله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال له أبو العباس: بل المعانى مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبدالله قائم إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبدالله قائم، جواب عن سؤال سائل وقولهم: إن عبدالله لقائم، جواب عن إنكار منكر. فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعانى. قال: فما أحار المتفلسف جوابا.

وإذا كان الكندى يذهب عليه هذا حتى يركب فيه ركوب مستفهم أو معترض، فما ظنك بالعامة، ومن هو فى عداد العامة ممن لايخطر شبه هذا بباله[٥١]. وأغلب أحكام النقد الأدبى فى العصر الجاهلى، وفى عصر صدر الإسلام كانت أحكاما غير معللة، والناقد فى ذلك الزمان لم يكن مطالبا بأن يؤيد حكمه النقدى بالأسباب والحيثيات والعلل، بل حسبه أن يكون مشهودا له بالذوق، والبصر فى الشعر وفنونه.

وعندما قام اللغويون والنحويون فى أواخر القرن الأول الهجرى، بجمع اللغة، ووضع القواعد النحوية لخدمة القرآن الكريم.

وعندما تقدمت هذه البحوث اللغوية والنحوية تقدما ملحوظا، حينئذ فقط بدأ التفكير فى الألفاظ كشيئ منفصل عن المعنى، أو فى المعنى مجردا ومنفصلا عن اللفظ، وبهذا التفكير اللغوى والنحوى لخدمة القرآن الكريم ـ وسعوا الأساس الأول ـ الخام ـ لهذه القضية الأدبية الهامة، ثم وضح ونضج هذا الانفصال بين اللفظ والمعنى، عندما ظهر المتكلمون فى ميدان المعركة، واشتد النزاع حول موضوع من أهم الموضوعات الإسلامية الدينية ألا وهو موضوع الإعجاز القرآنى. وحقيقته وكيفيته. وهكذا بدأ النقد العربى يتجاوز المرحلة التأثرية على المرحلة التعليلية، وبدأ يحاول وضع أسس وأصول وقواعد للنقد الأدبى لم تخرج فى الغالب عن حدود المنهج الفنى عند العرب.

ثم أثار المعتزلة صفة خلق القرآن الكريم مبنية على اللفظ والمعنى.. هل هما جميعا كلام الله القديم، أم القديم منهما المعنى وحده واللفظ حادث؟ وقد اشترك فى دراسة هذا الموضوع الخطير عدد كبير من فحول العلماء كالباقلانى والنظام والجاحظ والخفاجى والجرجانى، وغيرهم من المعتزلة والأشاعرة.

وإلى جانب ذلك كان من ميادين معركة اللفظ والمعنى فى ناحية أخرى طريقة الفقهاء الذين يأخذون باللفظ أو بالظاهر، وطريقة المتصوفة الذين يأخذون بالمعنى أو بالروح. وكنتيجة طبيعية لهذه البحوث، والمناقشات والاختلافات المذهبية والأدبية والنقدية حول هذه القضية الهامة الخطيرة نشأت آراء ونظريات عديدة ومختلفة اختلافا موضوعيا، ومن هنا انقسم النقاد العرب، فمن رجال النقد

والأدب من يرى أن "العلاقة بين المعنى واللفظ كالعلاقة بين الجسم والثوب، لكل منهما على تلازمهما وجود ذاتي مستقل، له أوصافه وخصائصه، فالجسم يقوم بحساب الخلقة، والثوب يقوم بحساب الصناعة، ومنهم من يرى أن العلاقة بينهما كالعلاقة بين الروح والجسد، لا يوجد هذا بغير ذاك، فإذا انفك أحدهما عن الآخر مات الحي وفسد الكائن"(١٦).

على أنه ينبغي التحفظ الشديد عند دراسة قضية اللفظ والمعنى في النقد الأدبي القديم، لأن نقاد العرب انقسموا فيها إلى مجموعات وطوائف فمنهم من يرجح جانب المعنى، ومنهم من يفضل جانب اللفظ، وفريق ثالث يساوي بين اللفظ والمعنى، وفريق رابع ينظر إلى الألفاظ من حيث دلالتها على المعاني في تركيب الكلام، ونظمه(١٧). وسنتناول هذه الآراء المختلفة حول هذه القضية النقدية على الترتيب الآتي:

١- أنصار المعنى، أو المعنويون الذين يجعلون للمعنى المقام الأول في النص الأدبي. ويدعون الأدباء إلى الغوص في بحره. وينصبون على رأس هذا الفريق أبا عمرو الشيباني الذي لم يكن يحفل إلا بالمعنى.

٢- أنصار اللفظ، أو اللفظيون الذين يجعلون اللفظ وحده هدف البليغ، ويطالبون البلغاء إلى العناية به دون المعنى. ويضعون على رأس هذا الفريق الجاحظ الذي يجعل الشأن كله للصياغة اللفظية.

٣- أنصار المساواة، وعلى رأس هذا الفريق الوسط بشر بن المعتمر المعتزلى الذى يدعو إلى عدم التوعر والتكلف فى النص الأدبى.

٤- أنصار العلاقات أو النظم، وعلى رأس هذا الفريق عبدالقاهر الجرجانى الذى يبين أن الجمال فى العبارة إنما يعود إلى حسن أداء الألفاظ لمعانيها، وترتيب الألفاظ إنما يأتى تابعا للمعنى الذى فى نفس قائله. وهذا الرأى الأخير من أهم الآراء الأربعة، وأكثرها أصالة.

ونبدأ أولا بنظرية الفريق الأول من النقاد العرب وأدبائهم، وهم المشهورون بأنصار المعنى أو المعنويين، فنقول وبالله التوفيق:

١- أنصار المعنى أو المعنويون:

وعلى رأس هذا الفريق الذى يشتهر بأنصار المعنى، أبو عمرو الشيبانى وكان أبو عمرو الشيبانى لايحفل إلا بالمعنى، فمتى كان المعنى رائعا جميلا ومستحسنا مقبولا، ظل كذلك، ولو كانت العبارة التى تؤدى هذا المعنى الجميل متصفة بالركاكة والضعف، وبقبح الصياغة وخشونة الأسلوب. ويشتهر هذا الفريق من أنصار المعنى بأنصار الحكم والأمثال ممن يطلبون صحة المعنى ولا يبالون بهجنة اللفظ، ورداءة الصياغة، وركاكة الأسلوب.

ينعى الجاحظ على أبى عمرو الشيبانى لاستحسانه هذين البيتين مع خلوهما من المسحة الأدبية والرونق اللفظى:

لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهمـــا مـــوت ولكـــن ذا أفظع من ذاك لذل السؤال

وأعتقد كمـا يعتقـد كثيرون غيرى، أن أبـا عمـرو الشيبانى أعجب بهذين البيتين لاشتمالهما علـى حكمـة عربيـة بارعـة إلـى أنـه اهتم بكتابتهما وطلب لذلك قلما وحبرا وقرطاسـا. بعـد أن سـمعهما فى المسجد يوم الجمعة.

وقد سار سير أبى عمرو الشيبانى كثير مـن النقـاد، والشـعراء والأدبـاء العـرب فـى اهتمـامهم بـالمعنى دون اللفـظ كـابن الرومـى والمتنبى وأبى تمام وأبى العتاهية، وصالح بن عبدالقدوس، وأبـان بـن عبدالحميد[١٨]، ممن سموهم شعراء المعـانى الذيـن يطـالبون بصحـة المعنى وجماله، ولا يبالون بـاللفظ وصياغتـه. وهكـذا فـإن أصحـاب المعانى من أنصار الحكم والأمثال يعتـبرون اللفـظ كمعـرض للمعنـى كالثوب تماما، للفتاة الجميلة الفاتنة، لكل من الثوب والفتـاة، وجـود مستقل ذاتى ولكـن اهتمـامهم بـالمعنى أكـثر مـن اهتمـامهم بـاللفظ، كالجوهرة فى الرماد لا تضيع قيمتها فيه. وهـم بذلـك يـنزلون اللفـظ منزلة تالية لمنزلة المعنى، ولكن مـع هـذا الاهتمـام البـالغ بـالمعنى لا يريدون إهمال اللفظ تماما كما يظن البعض.

وممن يرجحون المعنى على اللفظ ابـن قتيبـة[١٩] حيـث يـرى الجمال البلاغى فـى المعـانى دون الألفـاظ ولكنـه لـم ينكـر الجمـال اللفظى أيضا حين قال: "إن البلاغة تكون فى المعانى، كما تكون فى الألفاظ"[٢٠].

يقول ابن قتيبة الدينورى فى كتابه الشعر والشعراء: "تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب: ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه... وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى... وضرب منه جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه ... وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه..."(٢١).

فاللفظ فى نظر ابن قتيبة فى خدمة المعنى الذى يمكن التعبير عنه بألفاظ شتى مختلفة، يحلو بعضها ويقصر الآخر عن القيام بدوره فى التعبير عن المعنى. ويلاحظ أن ابن قتيبة كان لغويا فقهيا يفكر أكثر مما يتذوق، وكان بتفكيره يميل إلى التقسيم والتبويب ووضع الحدود.

وقد أراد قدامة بن جعفر أن يفلسف الأدب العربى باعتبار المعانى وحدها، دون اهتمام كبير بالألفاظ. وقد تأثر قدامة بن جعفر بابن قتيبة فى نظريته إلى قضية اللفظ والمعنى حيث أنه استهوته معالجة ابن قتيبة لهذه القضية الأدبية، ودفعته بشدة إلى المبالغة فى التقسيمات والتحديدات، وبيان عيوب كل من اللفظ والمعنى بمفردهما، وأثناء حديثه عن قضية اللفظ والمعنى نجده يتبع طريقة ابن قتيبة فى التقسيم، ويقول: إن عناصر الشعر العربى أربعة: اللفظ والمعنى، والوزن والقافية، ثم يأخذ فى بيان شروط فصاحة اللفظ بأن يكون سهل المخارج وعليه رونق الفصاحة، خاليا من البشاعة، ثم ينعت المعنى، والمعنى الجيد فى نظره أن يكون موجها إلى الغرض

المقصود، والهدف المنشود. ثم يتحدث عن ائتلاف اللفظ مع المعنى.

وهكذا نرى أن قدامة بن جعفر قد تناول قضية اللفظ والمعنى من الناحية الشكلية، حيث أظهر عنايته بالتعاريف والتقسيمات والتحديدات. وذلك نظرا إلى أنه قد استهوته طريقة ابن قتيبة فى دراسة هذه القضية ومعالجتها، مبالغ فيها وأثر فيمن جاء بعده من البلاغيين.

ويلاحظ هنا بالنسبة لنظرية قدامة بن جعفر فى ترجيح المعنى أو تقديمه أو تفضيله على اللفظ، ـ يلاحظ أن له نظرية أخرى فى تقديم اللفظ على المعنى كما سيأتى ذلك قريبا عندما نتناول موضوع أنصار اللفظ، أو اللفظين.

وقد تناول ابن طباطبا هذه القضية، وعالجها من وجهة نظر ابن قتيبة فى بعض من تقسيماته النقدية، انظر إليه وهو يقول: "ومن الأبيات الحسنة الألفاظ المستعذبة، الرائقة سماعا، الواهية تحصيلا ومعنى، وإنما يستحسن منها اتفاق الحالات التى وضعت فيها، وتذكر اللذات بمعانيها، والعبارة عما كان فى الضمير منها وحكايات ما جرى من حقائقها، دون نسج الشعر وجودته، وإحكام رصفه واتفاق معناه، كقول جميل.

فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها وإذ هى تذرى الدمع منها الأنامل

عشية قالت فى العتاب: قتلتنى وقتلى بما كانت هناك تحاول

...فالمستحسن من هذه الأبيات حقائق معناها الواقعة لأصحابها الواضعين لها دون صنعة الشعر وإحكامه"[٢٢] فابن طباطبا يرى فى هذين البيتين ذلك النوع من الشعر الذى حسن لفظه وقصر معناه، وهو متأثر فى ذلك بابن قتيبة الذى يفضل المعنى على اللفظ والصياغة.

وينظر هذا الفريق من أنصار المعنى من النقاد والباحثين والبلاغيين العرب، فى فكرتهم إلى تقديم المعنى على اللفظ وترجيحه عليه، ينظر إلى مقومات العمل الأدبى، فيرجعه إلى الجانب المعنوى، دون الجانب اللفظى، وبعبارة أوضح أن الفن فى نظرهم للحياة فيكون الجمال للمحتوى والمضمون دون الشكل والصورة.

وينطلق من ينتصر للمعنى من منطلق الكلام النفسى، الذى يترتب أولا فى النفس ثم يتم إظهاره باللفظ، وهذا الكلام سابق على اللفظ، كما يسبق المتبوع التابع، فاللفظ تابع، والمعنى متبوع. ومثل هذا الكلام قد جاء على لسان الأشعرى[٢٣]، فكان له تأثيره القوى فى النقد الأدبى، وبخاصة فى هذه القضية. ومما يدل على ذلك قول عبدالقاهر الجرجانى فى نظريته للنظم: "إن نظم الألفاظ تابع لنظم المعانى فى النفس"[٢٤].

وكان الشعر الجاهلى يلتزم فى المعنى الشرف والصحة، والقصد والاعتدال، والوضوح وقرب المأخذ، ولزوم الواقع، وحسن التأتى والبعد عن التجريد. حتى إذا عرض على العقل السليم قبله ووافق عليه عن الرضى، ولم يره مخالفا لما وقر فى الطباع. يقول

الآمدى: "وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حق التأتى، وقرب المأخذ" ويقول ابن رشيق القيروانى: "وبسط المعنى وإبرازه" ويقول القاضى الجرجانى: "وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته... وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فأغزر"(٢٥).

هناك فرق بين مفهوم المعنى فى الشعر العربى القديم، وبين مفهومه فى العصر العباسى، فلم تعد المعانى الواقعية البعيدة عن التهويل والمبالغة ترضى الممدوحين فى العصر العباسى نظرا لتغير الظروف السياسية، وتبدل الأحوال الاجتماعية، فقد أصبحت المثل العليا فى العصر الجاهلى البدوى لا تقبلها أذواق الخلفاء والوزراء والأمراء فى العصر العباسى المتحضر، فقد اعترى تلك المثل العليا فى الجاهلية تغيير جذرى، وتطور أساسى، إن ما كان يرضى رجالات العصر الجاهلى من صفات لم يعد يرضى أذواق الممدوحين فى العصر العباسى الذى تحضرت فيه الحياة وتعقدت، وحالت بساطتها الفطرية إلى عقد حضارية متطورة.

ففى العصر العباسى رغب الشعراء فى المبالغة فى تناول المعانى والإغراب فيها، وفى البعد عن المألوف، وفى محاولة تحوير المعانى القديمة، والتعديل فيها، وإظهارها فى صور تجريدية، وقد طرأ كذلك على العبارة وألفاظها تغير أساسى أيضا، فلم تعد فيها ذلك التلاحم القوى، والأسر الشديد، والتماسك الفكرى، وأصبحت

تتكون من كلمات ذات صوت رقيق وظلال وإيحاءات حضارية، وهجرت الكلمات والألفاظ الجزلة ذات الرنين القوي.

فالألفاظ عند الجاهليين فخمة جزلة ذات رنين قوي، وصلابة ومتانة ورصانة، وهو تأثير طبيعي للبيئة الصحراوية، وألفاظ المحدثين رشيقة لطيفة لينة دمثة، وهو أيضا تأثير طبيعي للبيئة الحضارية.

وأجود المعانى فى الشعر الجاهلى ما جاءت عفوا، واتسمت بالوضوح، وقرب المأتى، واتصف بالقصد والاعتدال، وأجود المعانى فى العصر العباسى ما جاءت نتيجة لتفكير عميق، ونظر ثاقب، وتتسم بالتدقيق، ولا ينالها الذهن فى يسر وسهولة، ويكون الوصول إليها بعد كد وتعب، وتأمل ونظر، وهؤلاء يسميهم الآمدى أصحاب المعانى وأهل الصنعة الجيدة. ويرى عبدالقاهر الجرجانى أن المعانى قسمان .. عقلية وتخييلية، والمعانى العقلية تجرى مجرى الأدلة والبراهين التى يستنبطها العقلاء، وأهل الفكر الرصين والعقل السليم.

أنصار المعنى فى العصر الحديث:

ومن أنصار هذا الفريق من أنصار المعانى والحكم والأمثال فى العصر الحديث عدد كبير من النقاد المعاصرين نذكر منهم على سبيل المثال دون الحصر:

الدكتور محمد حسين هيكل (١٨٨٨-١٩٥٦م):

يقول الدكتور هيكل فى كتابه (من ثورة الأدب ص٤٠) "إن اللغة فى الأدب ليست إلا الكساء الظاهر للحياة العقلية والفنية التى يعبر الأدب عنها، أما قوام الأدب ففى الروح الذى يلهم ما فيه من

معان وصور وعواطف وأحاسيس، لهذا نراك إذا عرفت لغات عدة فقرأت فيها صورا مختلفة من الأدب لم يكن اللفظ هو الذى يقفك عنده ، بل كان ما يدل عليه هذا اللفظ وما يعبر عنه".

أحمد أمين (١٨٨٦-١٩٥٤م):

ويتفق الأستاذ المرحوم أحمد أمين مع الدكتور هيكل فى تفضيل أدب المعنى على أدب اللفظ كما يظهر ذلك من كتاباته، وفى ميدان أدب المعنى يفضل المقالة أو الكتاب إذا كان كل منهما يحمل معانى جديدة. على كتاب ومقال لا يحمل إلا معنى مكررا، وإذا كان المعنى فى أسلوب جميل، كان أحسن عنده من معنى جديد فى أسلوب وضيع.

عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م):

ومن هذا الرأي الأستاذ المرحوم العقاد حين يقول فى كتابه مراجعات فى الأدب والفنون ص ٤٨ وما بعدها: فيرى المرحوم العقاد "أن الجمال فى الفن والطبيعة معنوي لا شكلي، وأن الأشكال لا تعجبنا وتجمل فى نفوسنا إلا المعنى تحركه أو لمعنى توحى إليه". ويرى أيضا فى الكتاب نفسه ص ٥١: "أنه ليس أشأم على النفس والعقل، ولا أبطل لعملهما من حصر كل شيئ فى صورته وحبس كل شئ فى ظاهره، وافتراض أن الصور سابقة للمعانى فى ترتيب الموجود كما أنها سابقة لهما فى ترتيب المشاهدة والإدراك".

٢- أنصار اللفظ:

ويرى فريق آخر من النقاد والباحثين فى أن الصياغة هو المقوم الأصيل للأدب، ولكى يدخل الكلام فى الأدب لابد من أن تستوفى العبارات اللفظية الخصائص الفنية فى الصياغة الأدبية وقد غلب على هؤلاء النقاد والأدباء اعتبار الجمال والرونق فى الشكل والصورة، وفى اللفظ والعبارة، وقد اهتموا لذلك بهذا الجمال الظاهرى، وراحوا يكشفون عناصره الجمالية ويبينونها للأدباء والمتأدبين، ولم يكلفوا أنفسهم بالبحث والتفتيش عما وراء الأشكال والألفاظ من الجمال المعنوى العميق. وخلاصة هذه النظرية أن المعانى جارية على ألسن الناس جميعا، ولا يستطيع أحد أن يدخلها فى ميدان الأدب، والصياغة الأدبية، إلا الأدباء لما لهم من قدرة فى التعبير، والصياغة، والأسلوب ، ومن هنا قالوا: إن قيمة الألفاظ فوق قيمة المعانى، يقول شيخ الأدب العربى الجاحظ فى الرد على أبى عمرو الشيبانى حين أعجب بالبيتين اللذين أوردناهما فيما مرّ[٢٦]، مع أنهما خاليان من المسحة الأدبية ــ يقول الجاحظ فى الرد عليه "....ذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى والمدنى. وإنما الشأن فى إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفى صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صياغة وضرب من النسخ وجنس من التصوير"[٢٧]. وقد غالى الجاحظ فى ذلك مغالاة صرفته إلى النظر إلى اللفظ بعين الجلالة لا لسبب إلا لأنه لفظ، وإلى

المعنى بعين الاحتقار لا لسبب إلا لأنه معنى يعرفه عربى وعجمى. أو لأن المعانى جارية على ألسن الناس جميعا.

يقول الجاحظ: إن الأدب هو التصوير والصياغة ولا دخل فى ذلك للمعانى وهو يمثل بذلك فريقاً من النقاد العرب الذين يرون فى صياغة العبارات المقوم الحق للأدب وفنونه، فلابد أن تستوجب تراكيب الجمل والعبارات خصائص الصياغة الفنية ليدخل الكلام فى باب الأدب وأجناسه، ولا يستطيع ذلك إلا الأدباء، لما لهم من البراعة فى جمال التعبير، ولتمكنهم من قواعد الفن فى أجناس الأدب وفنونه المختلفة. ومقتضى هذا الرأى أن الأدب عبارة جميلة وكفى، فإذا كنت من أهل الدقة فى التوفيق بين الألفاظ فسيتاح لك الوصول إلى البلاغة. وهكذا عنى اللفظيون بحسن اللفظ، وجودة السبك، وذلك لأنهم رأوا فى الافتنان فى الحلية اللفظية مجالا أوسع، وحيزا أكبر للتجديد والتطوير، اعتقادا منهم بأن الأولين قد استغرقوا المعانى واستوفوها ولم يتركوا للمتأخرين إلا ما هو غير مرغوب فيه.

وليس معنى هذا أنه أهمل المعنى، ولم يهتم به بدليل قوله: "لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح فى موضع الإفصاح، والكناية فى موضع الكناية، والإسترسال فى موضع الإسترسال"(٢٨).

ومن أقواله فى هذا المجال أيضا: " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"(٢٩).

إن قضية اللفظ والمعنى من قضايا النقد الأدبى المهمة التى شغلت النقدة والبلاغيين ورجال الأدب منذ عهد مبكر، والخلاف حول هذه القضية خلاف قديم. فالجاحظ وهو ممن ينصر اللفظ على المعنى يشير بصراحة، ويومىء إلى أن الصوت: هو آلة اللفظ، والجوهر الذى يقوم التقطيع وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا، ولا كلاما موزونا، ولا منثورا إلا بظهور الصوت(٣٠).

ويعدّ الجاحظ من النقاد الأوائل الذين عنوا باللفظ، إذ تكلم على تنافر الحروف، وملائمة الألفاظ، وتمائلها. و ألا يكون اللفظ ساقطا سوقيا، وغريبا وحشيا، ومن خلال اهتمامه باللفظ، وتفضيله على المعنى، انتقل الموضوع من مجال الدراسة القرآنية إلى الدراسة الأدبية، وبدأ النقاد يهتمون بالنص الأدبى. وهو من الأوائل الذين وضعوا مقاييس للفظ العربى لاهتمامه بتنافر الحروف، وبعده عن الغرابة والسوقية. وكان اهتمامه بالمعنى تابعا لاهتمامه باللفظ. وهو الذى يقول: "فالبيان بصر، والعي عمى"(٣١).

والجزالة من أهم صفات الألفاظ والعبارات فى الشعر الجاهلي، يقول ابن سلام فى تفضيل النابغة الذبيانى على الشعراء: "كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا" وقد عدها المرزوقى من عماد الشعر حيث يقول: ... "وجزالة اللفظ

واستقامته". وقررها القاضى الجرجانى فى قوله: "وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته". كما قرر ابن رشيق القيروانى فى قوله: "والعرب لا تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظة أو معنى ولكن نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته"(٣٢).

ويلتقى معه فى هذه النظرية ــ نظرية تفضيل اللفظ على المعنى ــ قدامة بن جعفر فى إحدى نظرياته النقدية، وهذه النظرية عبارة عن أن المعانى مادة الشعر، والشعر كالصورة، ولا يمكن إصدار الحكم على الشعر بمادته، أى بمعناه وإنما يحكم عليه بصورته، وخلاصة هذا الرأي أن الأدب عبارة جميلة فى أسلوب جميل جذاب وكفى(٣٣).

سئل الأصمعى (١١٢-٢١٦هـ/٧٤٠-٨٢٨م): من أشعر الناس؟ فقال: "من أتى إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا أو إلى الكبير فيجعله بلفظه خسيسا"(٣٤). وقد انتهى الأمر بأصحاب هذه النظرية إلى الاهتمام البالغ بنقد الصياغة الفنية والأسلوب ودراسة خصائصهما الفنية اللفظية.

ومن أشهر اللفظيين وأكثرهم تطرفا وأشدهم تمسكا باللفظ وشكله دون المعنى ولبه العلامة ابن خلدون الفليسوف الاجتماعى العظيم الذى يقول مؤيدا نظرية الجاحظ فى الصياغة ومبالغا فيها ويرى أن المعانى فى متناول كل إنسان" وفى طوع كل فكر منها ما

يشاء ويرضى، فلا تحتاج إلى صناعة، وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة" ويرى ابن خلدون أن المعانى تابعة للألفاظ فى حين أن الجاحظ لم يقل بأن المعانى تابعة للألفاظ، وقد تطرف ابن خلدون فى هذا الرأي كل التطرف حتى تجاوز الجاحظ نفسه، حيث قال: "إن العبرة بالألفاظ والمعانى تبع لها".

ولولا غلو أصحاب هذه النظرية المتطرف لقلنا إنهم على جانب كبير من الصواب والدقة المتناهية فى اهتمامهم بالصياغة اللفظية والأسلوب الفنى فى الأدب والصورة الأدبية إذ أن هذه الصياغة الفنية فى الأدب، هى أساس يجب توافره بشدة وبدقة فى كل عمل أدبى، أو فى كل ما يمكن الإطلاق عليه بأنه "أدب"(٣٥).

وممن يرجحون اللفظ على المعنى، أو أكثر ما ذكروه خاص بجمال اللفظ والتعبير والصياغة المرزوقى فى شرح ديوان الحماسة وأبو هلال العسكرى فى كتابه الصناعتين وعدد آخر من أبرز النقاد الأقدمين نذكر أقوال عدد منهم:

قال أبو على أحمد بن الحسن المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١هـ /١٠٣٠م فى شرح ديوان الحماسة: "... فمن البلغاء من يقول : فقر الألفاظ وغررها، كجواهر العقود ودررها، فإذا وسم اغفالها بتحسين نظومها، حلى اعطالها بتركيب شذورها، فراق مسموعها.. وجاء ما حرر منها مصفى من كدر العي والخطل، مقوما من أود اللحن والخطأ، يموج فى حواشيه رونق الصفاء لفظا وتركيبا، قبله الفهم،

والتذ السمع، وإذا ورد على ضد هذه الصفة، صدىء الفهم منه، وتأذى السمع به تأذى الحواس بما يخالفها"[٣٦].

ويقول ابن سنان الخفاجى (عبدالله محمد بن سعيد الحلبى المتوفى سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م): "إن من معايير حسن اللفظ: يجب أن تتباعد مخارج حروف الكلمة.. لأن أكثر كلام العرب مبني على التأليف من الحروف المتباعدة فى المخارج.. كما يجب أن يكون اللفظ حسن الوقع فى السمع، ومن شروط حسن اللفظ أيضا ألا تكون الكلمة وحشية فى الاستعمال، وألا تكون عامية سوقية مبتذلة، وأن تكون الكلمة جارية على القواعد العربية، غير خارجة عليها وألا تكون شاذة، وألا تكون كثيرة الحروف خارجة على المألوف[٣٧]. ويرى فى كتابه سر الفصاحة أن اللفظة المفردة لاتتحقق لها الفصاحة إلا بوجود شروط ثمانية[٣٨].

ومن أبرز أنصار هذا الفريق أيضا أبو هلال العسكرى المتوفى ٣٩٥هـ/١٠٠٤م وذلك واضح من تسمية "كتابه الصناعتين" حيث سار فيه سير الجاحظ وزمرته فى تفضيل اللفظ على المعنى وإرجاع الميزة البلاغية إليه، وإلى صياغته اللفظية دون المعنوية.

انظر إليه وهو يقول فى الصناعتين: "أن يكون لفظك شريفا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا.. فإن كانت هذه لاتواتيك، ولاتسنح لك، عند أول خاطر.. وتجد اللفظة لم تقع موقعها، ولم تصل مركزها، ولم تتصل بسلكها، وكانت قلقة فى موضعها، نافرة عن مكانها، فلا تكرهها على

اغتصاب الأماكن، والـنزول فـى غـير أوطانهـا .. فـإنك إن لـم تجـد تتعاط قريض الشعر المنظوم، ولم تتكلف اختيار الكـلام المنثـور، لـم يعبك بذلك أحد، وإن تكلفته ولم تكن حاذقـا مطبوعـا، ولا محكمـا لشأنك بصيرا، عابك من أنت أقـل عيبـا منـه، وزرى عليـك مـن هـو دونك"(٣٩).

ويقـول أبـو هـلال العسـكرى: "فـإذا كـان الكـلام قـد جمـع العذوبـة والجزالـة، والسـهولة والرصانـة، مـع السلاسـة والفصاحـة، واشتمل على الرونق والطلاوة، وسلم من حيـف التـأليف، وبعـد عـن سماجة التركيب، وورد علـى الفهـم الثـاقب قبلـه ولـم يـرده، وعلـى السمع المصيب استوعبه ولم يمجه، والنفس تقبل اللطيف، وتنبو عـن الغليظ، وتقلق من الجاسى البشع...".

ويقول: "... وليس يطلـب مـن المعنـى إلا أن يكـون صوابـا، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه مـن نعوتـه التـى تقدمت...".

ويقول: "...وأكثر هـذه الأوصـاف ترجـع إلـى الألفـاظ دون المعانى...".

ويقول: "... وإذا كان المعنى صوابـا، واللفـظ بـادرا وفـاترا، والفاتر شر من البادر، كان مستهجنا ملفوظا، ومذموما مردودا...".

ويقول: "...والشعر كلام منسوج، ولفظ منظوم، وأحسنه مـا تلاءم نسجه ولم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيـه

الغليظ من الكلام، فيكون جلفا بغيضا، ولا السوقي من الألفاظ فيكون مهلهلا دونا..."[٤٠].

إننا نلاحظ فى هذه النصوص لأبى هلال العسكرى نوعا من المقاربة بينه وبين الجاحظ الذى جاراه أبو هلال العسكرى، وأعجب بأسلوبه، فهو إذن يفضل اللفظ على المعنى متبعا فى ذلك الجاحظ، ومذهب أصحاب البديع.. "فان الشأن ليس فى إيراد المعانى، وإنما هو فى جودة اللفظ وصفاته".

وأبو هلال العسكرى ينحو منحى البلاغيين فى تحديد خصائص اللفظ والمعنى تحديدا شكليا غير مترابط.

وعلى الجملة فإن أبا هلال العسكرى يرى القيمة كل القيمة للّفظ، ونظم الأساليب ولا يتطلب فى المعنى إلا أن يكون صوابا قريبا إلى الأفهام.

وقد نتج عن هذا الاهتمام بالجانب اللفظى فى هذه القضية أن اهتم فريق من البلاغيين وبخاصة أنصار الشكل والصورة منهم بالبديع اعتقادا منهم بأن المجال اللفظى هو كل شيئ فى الأدب، وبالغ المتأخرون منهم فى ذلك حتى جعلوا مقياس جودة الأدب كثرة ما فيه من البديع كما يقول ابن أبى الإصبع المصرى المتوفى سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م فى كتابه الشهير "تحرير التحبير" الذى كتبه بأمر القاضى شرف الدين[٤١].

وهكذا يكاد ينحصر جهد البلاغيين وبالأخص أنصار اللفظ منهم فى هذا الميدان، ذلك لأنهم رأوا فى الصياغة اللفظية المجال

الأكبر للتجديد ظنا منهم بأن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا من المعانى.

٣- أنصار اللفظ والمعنى:

وهناك فريق ثالث وسط، يتخذ طريقا وسطا بين الفريقين السابقين، وأصحاب هذه النظرية ينظرون إلى اللفظ والمعنى بمنظار واحد، وعلى رأس هذا الفريق الوسط بشر بن المعتمر المعتزلى، ففى صحيفته المشهورة، ينصح بشر بن المعتمر المعتزلى بعدم الإسراف فى التوعر والتكلف: "فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك. ومن أراد معنى كريما فليلتمس لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما، وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما.."[٤٢]. هذا النص من أقدم النصوص الأدبية فى هذا المعنى، وهو ينصح الأديب والشاعر بترك التوعر والتكلف فى كل من المعنى واللفظ لأن ذلك يؤدى إلى التعقيد والتشويه.

ويقول أيضا: "أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا.."[٤٣]. اللفظ الرشيق، والمعنى القريب من الشروط التى يفرضها بشر المعتزلى على الشاعر والناثر ليكون النص الأدبى عذبا معروفا وسهلا مكشوفا.

ويتحدث ابن رشيق عن اشتراك اللفظ والمعنى فى استحقاق الكلام العربى صفة البلاغة والفصاحة فيقول : "لايكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك..."(٤٤). وخير ما يمثل ذلك قول ابن رشيق أيضا: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته..."(٤٥). وابن رشيق يقترب فى ذلك من عبدالقاهر الجرجانى.

ويعتقد ابن رشيق أن أكثر الناس يفضلون اللفظ على المعنى: "اللفظ أغلى من المعنى ثمنا، وأعظم قيمة، وأعز مطلبا، فان المعانى موجودة فى طبائع الناس، يستوى الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحة التأليف، ألا ترى لو أن رجلا أراد فى المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه فى الجود بالغيث... فإن لم يحسن تركيب هذه المعانى فى أحسن حلاها من اللفظ الجيد، الجامع للرقة والجزالة، والعذوبة والطلاوة، والسهولة والحلاوة، لم يكن للمعنى قدر"(٤٦).

وقد حاول هذا الفريق الوسط الثالث أن يقوم بالتوافق بين الفكرتين السابقتين ـ فكرة ترجيح اللفظ على المعنى، وفكرة تفضيل المعنى على اللفظ ـ، وعلى هذا فإن هذا الفريق الثالث الوسط يقف فى هذه القضية الأدبية، موقفا طبيعيا بالنسبة لقضايا التاريخ البشرى، فهو يمثل موقف الأشاعرة الوسط بين المذاهب الإسلامية الأخرى فى عصرهم.

والحقيقة أن الفصاحة والبلاغة فى الكلام العربى راجعة إلى المعانى، وإلى ما يدل عليه من الألفاظ والكلمات دون الألفاظ والمعانى أنفسها، والكلمات المفردة لا تتفاضل بينها إلا من حيث الألفة والسهولة، ومن حيث التناسب والتلاؤم، ومواءمة الصياغة للمعنى. ونظرية عبدالقاهر الجرجانى فى النظم أو العلاقات مبنية على هذا الأساس الجمالى، وأنه يعود إلى تنسيق الكلام على وجه خاص تابع للمعنى فى النفس فاللفظ والمعنى ركنا الأدب، وبهما يؤثر فى النفس ويملك القلب، وخير من يمثل ذلك قول ابن رشيق: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم"(٤٧). وتشبيه اللفظ بالجسم والروح بالمعنى يصور إلى مدى بعيد ما بين ركنى الأدب من صلة لاتنفصم(٤٨) فمعيار التفاضل فى جودة المعنى وجودة اللفظ، وقد عدهما النقاد العرب ركنين أساسيين للعمل الأدبى. وإليه ذهب عبدالقاهر الجرجانى فى نظرية العلاقات.

ليس معنى ذلك أن من انتصر للّفظ والصياغة، كان يجحد فضل المعنى، ومن عني بالمعنى وقدمه، أنكر فضل اللفظ وأهميته، ومن قال بالمساواة بين اللفظ والمعنى فقد انفرد بذلك لأن الشواهد والأدلة تقول: إنهم أجمعوا على أن اللفظ والمعنى لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا يستقل بنفسه فى الصورة الأدبية وصناعتها.

ومما لا جدال فيه أن اللفظ والمعنى فى الصورة الأدبية كالروح والجسد فى الإنسان، لوجود الصلة القوية بينهما.

وأكثر الدراسات الأدبية التى تتعرض لقضية اللفظ والمعنى، أو تتعرض للألفاظ والمعانى ودورهما فى تشكل الصورة الأدبية يغلب عليها القول على أن الأدباء العرب قد اهتموا بدراسة اللفظ والمعنى منذ القدم، وأن المتأخرين حذوا حذو المتقدمين من النقدة والأدباء العرب.

فإذا كان اللفظ عنصر مهم من عناصر الأدب، ويؤدى دوره المهم فى الصورة الأدبية، فإن المعنى عنصر جوهرى أهم فى ذلك. فإن المعانى بمنزلة الأبدان من الثياب. والجد فى تحسين الألفاظ إنما هو لتحسين المعانى.. بل المعانى أرواح الألفاظ وغايتها التى لأجلها وضعت، وعليها بنيت(٤٩). واحتياج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى أشد من احتياجه إلى تحسين اللفظ، لأنه إذا كان المعنى صوابا، واللفظ منحطا ساقطا عن أسلوب الفصاحة، كان الكلام كالإنسان المشوه الصورة مع وجود الروح فيه، وإذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الإنسان الذى لا روح فيه، ولو كان على أحسن الصور وأجملها(٥٠). وعلى كل فالفكرة كالثمرة إذا نضجت سقطت، ولكنها لا تسقط إلا على كلمتها، إن الأديب أو الشاعر لا يقف أمام المعانى وحدها، ولا أمام الألفاظ وحدها. إنه يختار المعنى، ثم يختار اللفظ الملائم، فالتفكير فى اللفظ والمعنى تفكير جملى، يفكر فيهما الأديب مرة واحدة، وبحركة عقلية واحدة، فإذا رتبت المعانى فى الذهن ترتيبا منطقيا، رتبت لها الألفاظ الملائمة ترتيبا منطقيا أيضاً.

الخـــلاصـة:

إن النقاد العرب فى معالجة قضية اللفـظ والمعنـى النقديـة قـد انقسموا إلى لفظيين ومعنويين، فمنهم من فضل اللفظ، وكرمه، وآثـر الصياغة وأولاها كل عناية واهتمام، وجعـل لهمـا القيمـة كـل القيمـة كالجـاحظ وأبـى هـلال العسـكرى، ومـن حـذا حذوهمـا ودار فـــى فلكهما، ولف لفهما، ولم يطلب هؤلاء النقاد اللفظيون من المعنى إلا أن يكون صوابا خاليا من الإغراب والتناقض أو الاستحالة.

وهنـاك آخـرون مـن النقـاد العـرب يصـرون علـى أن الألفـاظ ليست إلا خدم للمعانى، وليـس تركيـب العبـارة وتنظيـم الألفـاظ إلا للتعبير عن المعنى والبيان عنه، وأن وظيفة الكـلام الأولـى والأساسـية هى الإبانة والإفهـام والإظهـار، وعلـى رأس هـؤلاء النقـاد والبلاغيين عبدالقاهر الجرجانى.

مـوجـز آراء اللفظيـين:

١- اللفظيون يجعلون كـل الشـأن وكـل القيمـة للصياغـة اللفظيـة وجـودة الألفـاظ، وجمـال العبـارة، ورونـق الأسـلوب اللفظـى، أمـا المعانى فكلأ مباح للجميع يستوى فيه الأعجمى والعربى.

٢- ويـرون الفصاحـة فـى اللفظـة المفـردة فـى خلوهـا مـن تنـافر الحروف، وصعوبة النطـق، وفـى بعدهـا عـن التوحـش والتوعـر، وألا تكون عامية سوقية، أو غريبة وحشية.

٣- وفصاحة العبارة المركبة من الألفاظ المفردة فى خلوها من التنافر بين الكلمات، وفى بعد هذه الكلمات عما ينبو عن السياق والأسلوب، وفى التلاحم بينها وفى سهولة النطق والسلاسة.

موجز آراء المعنويين:

١- المعانى هى التى تتحكم فى الألفاظ، ومتى رتبت المعانى فى مخيلة الأديب واتضحت فى ذهنه، وتألفت فى فكره فإن الألفاظ تأتى مرتبة تلقائية تتبع ترتيب المعانى فى ذاكرة الأديب وحسه وفؤاده.

٢- الجمال الأدبى يكمن فى المعنى، ويستتر فى السياق، وليس فى جرس الحروف وأصوات الكلمات، إن العقل والوجدان ينتقل بالمعانى العقلية والوجدانية فى نفس الفنان فيجبر انه جبرا على اختيار ألفاظ معينة وصورة خاصة من التركيب والتأليف للعبارة والتعبير.

٣- ليست للفظ مزية إلا دالا على المعنى متحملا له، موضحا إياه مبينا له بدقة تامة. وهو ما يقره علم النفس اللغوى من أن المعنى هو المتحكم فى اللفظ، وهو الذى يختاره، ويستدعيه: "فاللفظ متحمل بمعناه، ولا يمكن أن نتصوره لفظا من غير فكرة، والفكرة سابقة على اللفظ، وإذا كان الطفل قادرا على الفهم قبل أن يقدر على الكلام كان معنى هذا أن فهم مدلول الفكرة سابق على فهم مدلول اللفظ"(٥١). فالمعنى يستلزم اللفظ، ويجلبه ويستدعيه إذا اتضح المعنى وتحدد ووصل إلى النضج فى فكر الأديب.

٤- أنصار العلاقات أو النظم والصياغة:

وهكذا انتقلت هذه الآراء كلها من عصر إلى عصر، حتى انتهت إلى مهندس البلاغة العربية الإمام عبدالقاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ فأعمل فيها فكره، وأفاد من سابقيه فى النقد وبحوثه. ولما كان عبدالقاهر الجرجانى هو وحده صاحب نظرية دلالة الألفاظ على المعانى فى تركيب الكلام ونظمه وإليه يرجع الفضل كله فى هذه النظرية كان من الواجب علينا أن نتحدث فى إيجاز عن الظروف والملابسات التى سبقت الشيخ عبدالقاهر الجرجانى.

فمهندس البلاغة العربية عبدالقاهر الجرجانى يجعل الشأن والتفاضل كله للتأليف والنظم ومكان الكلمات وتألفها، وعلاقات بعضها ببعض من النظم، وحسن ملاءمة معانيها لمعانى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها، وحسن اتفاقها للتالية فى مؤداها. فمنشأ الجمال فى العبارة فى حسن أداء المفردات لمفاهيمها ومعانيها، وفيما بين المعانى والألفاظ من الاتساق والإيناس العجيب. وأن يأتى ترتيب الألفاظ تابعا للمعانى فى نفوس القائلين.. "فإذا وجب المعنى أن يكون أولا فى النفس وجب للّفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا فى النطق"(٥٢). فما كان من المعانى متقدما فى النفس، تقدم اللفظ الدال عليه فى النطق، وما كان متأخرا فى النفس كان اللفظ الدال عليه متأخرا فى النطق ثم فى العبارة الأدبية ومن هنا كان المعنى هو الباعث الذى ينبثق عنه الكلام، ولهذا كانت البلاغة والفصاحة صفتين

للمعنى دون الألفاظ، لأن نظمها ونسقها على منوال خاص إنما يكون تابعا للمعنى دون اللفظ.

ماهية الكلام:

سبق أن تحدثنا باختصار عن مشكلة حدوث القرآن وقدمه وأثر ذلك فى قضية اللفظ والمعنى(٥٣)، وقد تطورت مشكلة قدم القرآن وحدوثه إلى التفكير فى ماهية الكلام. وصاحب التفكير فى ماهية الكلام والتفكير فى دلالات الألفاظ ومعانيها، التفكير فى الإعجاز القرآنى، وأدى التفكير فى الإعجاز القرآنى، إلى التفكير فى نظم الكلام العربى، ومنه نشأت قضية اللفظ والمعنى التى نحن بصدد بحثها ودراستها، والتى كان لها أثرها البالغ فى ميدان الفكر العربى بصفة عامة وفى تكوين نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجانى بصفة خاصة.

الفقهاء وقضية اللفظ والمعنى:

وإلى جانب هذا التفكير فى ماهية الكلام ودلالات الألفاظ، وفى نظرية الإعجاز القرآنى ونظم الكلام العربى، إلى جانب هذا كله كان هناك فريق آخر من الفقهاء يحاول دراسة النصوص القرآنية من النواحى الأخرىغير ماهية الكلام ودلالات الألفاظ. ولقد قام الفقهاء أيضا بدراسة قضية اللفظ والمعنى، وذلك لاستنباط الأحكام الفقهية من النصوص القرآنية، ومن هنا اتجهوا إلى التفكير فى مفهوم القرآن الكريم نفسه.. أهو اللفظ والمعنى جميعا، أم هو المعنى فقط...؟ وهل الإعجاز باللفظ والمعنى معا، أم هو بالمعنى فقط؟ وذلك لكى

يتمكنوا من ذلك كله.. هل تجوز الصلاة بغير العربية؟.. وهل تجوز ترجمة القرآن؟ وهل ...؟ وهل ...؟ وهل...؟ والمسألة بعد ذلك معروفة، وأقوال المذاهب الإسلامية فيها مشهورة ليست فى حاجة إلى والتفصيل والتحليل.

كذلك اتصلت بحوث المعتزلة بهذه القضية النقدية، فقد كانوا يبرزون المناسبة بين الألفاظ ومعانيها ودلالاتها، ومحاولين الاستشهاد على ذلك بالقرآن الكريم بإبراز الفكرة أن القرآن الكريم ألفاظ وحروف، وأن الكلام لا يمكن أن يتجرد من خواص الألفاظ.

الأشاعرة وقضية اللفظ والمعنى:

قال أبو الحسن الأشعرى[٥٤] المتوفى سنة ٣٣٠هـ: إن كلام الله سبحانه وتعالى يطلق إطلاقين كما هو الشأن فى كلام الإنسان، يطلق على الإنسان متكلما وناطقا باعتبارين.. أحدهما الصوت والآخر المعنى القائم بالنفس، فكذلك كلامه سبحانه وتعالى، يطلق بهذين الإطلاقين.. المعنى النفسى وهو القائم بذاته وهو الأزلى القديم، وهو ثابت لا يتغير ولا يختلف أبدا وهذا هو الذى نريده إذا وصفنا كلام الله بالقدم، ويطلق عليه كلام الله حقيقة، وأما القرآن بمعنى الكلام اللفظى، فهو الحادث المخلوق، ويطلق عليه كلام الله مجازا.

علماء الإعجاز القرآنى وقضية اللفظ والمعنى:

ومن الكتب التى فتحت الباب لعبد القاهر الجرجانى فى نظريته، كتب الدراسات القرآنية، "كبيان إعجاز القرآن" للخطابى

البستى المتوفى سنة ٣٨٨هـ، و "النكت فى إعجاز القرآن" لأبى الحسن الرمانى المتوفى ٣٨٤هـ، و "إعجاز القرآن" لأبى بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣هـ، و "إعجاز القرآن فى نظمه" للواسطى المتوفى سنة ٣٠٦هـ، و "إعجاز القرآن" للباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣هـ، "والمغنى فى أبواب التوحيد والعدل" للقاضى أبو الحسن عبدالجبار المتوفى سنة ٤١٥هـ.

يقول الأستاذ الدكتور محمد نايل.."لعل أقرب الكتب التى فتحت الباب لعبد القاهر الجرجانى هو كتاب الواسطى المسمى "إعجاز القرآن فى نظمه" فإن العنوان يشير إلى أنه لابد أن تعرض لخصائص النظم فى القرآن حتى يظهر جانب الإعجاز فيه، كما أن الشيخ عبدالقاهر قد شرح الكتاب شرحين أحدهما صغير والآخر كبير سماه "المعتضد"، فلولا أن الشيخ وجد فى الكتاب ما يوافق فهمه للنظم ما شرحه مرتين"(٥٥).

علماء النحو والمنطق وقضية اللفظ والمعنى:

وكذلك استغل عبدالقاهر الجرجانى فى هذه الدراسة النقدية تلك المناقشات التى كانت دائرة بين النحاة والمناطقة فى العصر العباسى لمعرفة حقيقة كل من النحو والمنطق وعلاقتهما باللغة والألفاظ.. ولقد حاول السيرافى النحوى ــ ردّا على ابن يونس المنطقى ــ أن يسوّي بين النحو والمنطق فيقول: "النحو منطق ولكنه مسلوخ عن العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة"(٥٦).

ويقول الأستاذ الدكتور محمد نايل: "... على أن الشيئ الذى لا يشك فيه هو أن عبدالقاهر قد استفاد فى هذا الباب كثيرا من نظرات النحاة الذين سبقوه حين كان النحو أوسع أفقا وأكثر خصبا من النحو فى صورته الأخيرة"(٥٧).

علماء النقد وقضية اللفظ والمعنى:

كذلك من أبرز كتب النقد التى مهدت السبيل وفتحت الباب لعبد القاهر الجرجانى فى نظريته الحديثة، الموازنة للآمدى، والوساطة للقاضى الجرجانى. "ثم جاء الآمدى والقاضى الجرجانى فنظرا فى جمال النظم والأسلوب نظرة جديدة، لقد أدركهما عصر البديع والتكلف فى الصناعة، عصر أبى تمام ومن نحا نحوه، فألجاهما إلى الموازنة بين الجمال الفطرى والجمال المصنوع، وأن مقياس الجمال العام كما لا يرتبط بتناسق الأعضاء وتكامل الأجزاء فى جسم الإنسان، لايرتبط بالإحكام والمتانة والقوة وفنون الصناعة فى الأسلوب، وإنما المقياس هو القبول وارتياح النفس، وما تجده من الحلاوة واللذة، إنه الذوق الخبير المدرب..."(٥٨).

وهكذا تطورت قضية اللفظ والمعنى فى رحاب الدين الإسلامى أيما تطور، وكان لها شأن عظيم فى أوساط النقاد العرب، فانقسموا فيها طوائف وشيعا ـ كما هو معروف ـ فمنهم من نظر إلى مقومات العمل الأدبى، مفضلا ومرجحا اللفظ، وآخرون أرجعوها إلى المعنى مقدما ومرجحا إياه، ومنهم من ساوى بين اللفظ والمعنى، ناظرا إياهما بمنظار واحد، وهكذا وصلت قضية اللفظ

والمعنى، فى بحر من المناقشات والمداولات ـ إلى الشيخ عبدالقاهر الجرجانى، ولكن على صورة لم يرتضها ولم يوافق عليها، لأنها صورة غلبت فيها دولة اللفظ حتى يكاد يكون كل شيئ فى الصورة الأدبية، وثبت عنده أن قضية اللفظ والمعنى قد ازداد فهمها سوءا من أهل زمانه، وكانوا فى الأغلب الأعم من الظاهرية الذين ينزعون إلى اللفظية الجامدة وقد شاع بين هؤلاء اللفظيين فى عصره القول بتوقيفية اللغة العربية مما أعطى للألفاظ لديهم شيئا من القدسية الإلهية إذ كانوا يعتقدون أن واضعها هو سبحانه وتعالى(٥٩).

نعود بعد ذلك ونتساءل هل معنى هذا أن عبدالقاهر الجرجانى كان من أنصار المعنى أو من أنصار اللفظ؟ إن عبدالقاهر لم يكن من أنصار المعنى، ولا من أنصار اللفظ، ولكنه صاحب نظرية مستقلة، وفكرة جديدة توصل إليها من خلال تلك المناقشات والبحوث والدراسات التى مرّ ذكرها فى ثنايا البحث والدراسة، وهى فكرة أو نظرية الصياغة الأدبية أو العلاقات بين التراكيب ـ من حيث دلالتها أى دلالة الصياغة على جلاء الصورة الأدبية كما سنرى ذلك عند مناقشة آرائه ونظراته الدقيقة.

يأبى عبدالقاهر الجرجانى أن يكون من أنصار اللفظ من حيث هو لفظ، إذ أن هؤلاء يتناسون المعانى التى تدل عليها الألفاظ فى الصياغة الأدبية، ويبحثون عن حسن الكلام فى حسن ألفاظه فى ذاتها من حيث هى ألفاظ. فلو اعتددنا بالألفاظ فى ذاتها لما أمكن تمييز القرآن من غيره، من حيث هو ألفاظ، وفيه إلى جانب ذلك مساس

بقضية الإعجاز القرآنى[٦٠] "فلا جمال إذن فى اللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى فى النطق، وإنما يكون ذلك لما بين معانى الألفاظ من الاتساق العجيب"[٦١].

"فمزية الكلام فى تأليف الألفاظ، ومزية الألفاظ فى تأليف الكلام، وفى جلاء الفكرة الأدبية بالصياغة اللغوية، وهذه المزية ترجع إلى الصياغة ودلالتها على الصورة الأدبية ولا يمكن نسبتها إلى الألفاظ من حيث هى ألفاظ إلا فى دلالتها على صورها ومعانيها، ومن أجل هذه الدلالة عظّم الأقدمون من شأن اللفظ وجعلوه قسيم المعنى فقالوا "معنى لطيف ولفظ شريف"[٦٢].

إذن فالأهمية للألفاظ فى مواقعها من الجمل بوصفها الوسائل والأدوات التى بها يؤدى المعنى أو الصورة الأدبية والفنية، ولا أهمية لها فى ذاتها من حيث هى ألفاظ مجردة عن المعنى و إنما تظهر وتتبين أهمية الألفاظ والكلمات فى أداء المعانى المطلوبة، ويتجلى ذلك فى تأليف الكلام، وتركيبه تركيبا فنيا أدبيا، وهنا فقط تظهر مزية الصياغة والصناعة اللفظية، وما فيها من ألفاظ وكلمات فى جلائها للصورة الأدبية مع أداء المعنى المطلوب فى وضوح وجلاء "فالبلاغة والفصاحة وسائر ما يجرى فى طريقهما أوصاف راجعة إلى المعاني، وإلى ما يدل عليه الألفاظ، دون الألفاظ أنفسها ..."[٦٣].

وهنا يجب أن نشير إلى مسألة أدبية هامة وهي .. هل يرى عبدالقاهر الجمال الأدبى أو الفنى فى الألفاظ والأشكال؟ أم فى

المعانى والدلالات؟ أم فيهما معا؟ بمعنى .. أيهما أسرع مبادرة إلى الذهن.. أصور الألفاظ والأشكال؟ أم المعانى والدلالات؟

يجيب عبدالقاهر الجرجانى عن هذا السؤال الهام بأن اللفظ والمعنى متلازمان، بدليل أن العملية الفكرية واحدة، وفى هذه العملية الفكرية، وعن طريقة صياغتها وصناعتها تتجلى الصورة الأدبية المطلوبة إذ لا يمكن ترتيب المعانى مستقلة عن الألفاظ، كما أن الألفاظ فى ترتيب الجمل، ليست مقصورة بالفكر أولا، ولكن هذا الترتيب اللفظى ملازم للمعنى المدلول عليه فى الصورة الأدبية، فالألفاظ أوعية للمعانى وأدوات لفهم هذه المعانى والأفكار.. "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا فى النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا فى النطق"(٦٤).

وهذا معناه أن المعانى هى التى تترتب فى النفس أولا ثم تتبعها الألفاظ فى الترتيب للدلالة عليها ولإظهارها والتعبير عنها فى تلك الألفاظ.. "إنك إذا فرغت من ترتيب المعانى فى نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا فى ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم، وتابعة لها ولاحقة بها. وأن العلم بمواقع المعانى فى النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها فى النطق"(٦٥).

(٢)

العـــلاقـــات أو النـــــظم

مفهوم النظم[٦٦]:

النظم هو تعليق الكلام بعضها ببعـض، وجعـل بعضهـا بسـبب مـن بعـض. يقـول الإمـام عبدالقـاهر الجرجـانى فـى دلائـل الإعجـاز ص٥٥: "اعلـم أن ليـس النظـم إلا أن تضـع كلامـك الوضـع الـذى يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التـى نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رسـمت لـك فـلا تخـل بشيئ منها".

وقبل أن نتحدث عن نظرية النظم أو العلاقات عند عبدالقـاهر الجرجانى، أرى من الأفضل أن أقوم بتقديم صورة مصغرة عن أهدافه حول النظم، ومن الممكن اختصار هذه الأهداف فيما يأتى:

١- المذهب الأشعرى: من المعروف أن عبدالقاهر أشـعرى علـى مذهب الأشعرى وأبو الحسن الأشعرى هـو الـذى يقـول: إن الكلام نفسى ولفظى كمـا مـر[٦٧] ومن هنا يـرى عبدالقـاهر أن جوهر الكلام هو الكلام النفسى والكلام اللفظى ظل له.

٢- المذهب النحوى: وعبدالقاهر إلى جانب ذلك نحـوى ـــ إذا فسرنا النحو بمعناه الأوسـع ـــ وقـد استفاد مـن النحـو أيمـا استفادة فى نظريته فى النظم.

٣- الإعجاز القرآنى: القرآن الكريم معجزة محمد عليه الصلاة والسلام، والمعجزة يجب أن تكون خارقة للعادة، ومن هنا يرى عبدالقاهر الجرجانى أن يكون البيان والبلاغة أمرا يتسع للمعجزات، ويقبل العقل أن يتصل به الإعجاز.

فهدف عبدالقاهر هو إعجاز القرآن فى نظمه، ويحاول إثبات هذه النظرية الهامة عن طريقين.. عن طريق الكلام النفسى، وعن طريق الارتباطات أو العلاقات النفسية النحوية فى التراكيب.

ما هو النظم عند عبدالقاهر الجرجانى؟:

إذن ما هو النظم عند عبدالقاهر وماذا يقصد به؟ يقصد عبدالقاهر الجرجانى بالنظم صياغة الجمل ودلالتها على الصورة.. وهذه الصياغة الأدبية هى محور الفضيلة والمزية فى الكلام(٦٨). ولم يكن عبدالقاهر أول من اهتم بالنظم كما يتبادر ذلك إلى الذهن، فالاهتمام بالنظم قديم، فقد اهتم به كل من ابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، وعلى بن عيسى الرمانى، والخطابى البستى، وأبى بكر الباقلانى، والقاضى عبدالجبار، وغيرهم من علماء الدراسات القرآنية الذين يعتبرون من مؤسسى هذه النظرية. وبالإضافة إلى ذلك فإن علماء الهند، والأفغان والفرس والإغريق قد اهتموا بنظم الكلام كما يبدو ذلك من كتبهم الأدبية القديمة.

ولقد قام عبدالقاهر فى هذا الباب بجهد عظيم فهو يقصد بالنظم ما أطلق عليه الغربيون أخيرا علم التراكيب (SYNTAX) وعلم التراكيب عندهم أو (SYNTAX) بلغتهم من أهم أجزاء النحو، يقول

عبدالقاهر إنه وضع "كلامك الموضوع الذى يقتضيه علم النحو". ولا يقصد عبدالقاهر النحو بمعناه الضيق، بل يريد بالنحو ما يشمل الآن مسائل علم المعانى إلى جانب عدد من المسائل البيانية والبديعية الأخرى التى أصبحت الآن فى العصر جزءاً من البلاغة العربية بفنونها الثلاثة.

يقول عبدالقاهر الجرجانى فى دلائل الإعجاز .. "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لايعترضه الشك أن لا نظم فى الكلمة ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا مالا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس..

وإذا كان كذلك، فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبها، ما معناه وما محصوله؟ وإذا نظرنا فى ذلك، علمنا أن لا محصول له غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الأسم اسما على أن يكون الثانى صفة للأول، أو تأكيدا له، أو بدلا منه، أو تجئ باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا، أو تتوخى فى كلام هو لإثبات معنى، أن يصير نفياً أو استفهاماً أو تمنياً، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد فى فعلين أن تجعل أحدهما شرطا فى الآخر، فتجئ بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التى ضمنت معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس"(٦٩).

فعبد القاهر فى هذه الفقرات الرائعة يقوم بشرح العلاقات النحوية وصورتها التركيبية بين الكلمات، بأن يرتبط بعضها ببعض، وتجئ هذه بسبب من تلك، فيكون الاسم الواقع فى الجملة المطلوبة، أو فى التركيب الكلامى المطلوب فاعلا لفعل، أو مفعولا له، أو خبرا عن اسم آخر الى غير ذلك من العلاقات المعروفة فى علم النحو بمعناه الأوسع، بين الأسماء والأفعال والحروف والأدوات..[٧٠] مثل التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإضمار والإظهار، والفصل والوصل، والانقطاع والاتصال.

لا يظهر النظم فى الكلمة المفردة الا بحسب موقع الكلمة فى الجملة نحويا، كما أنه لا يظهر فى الجملة إلا بعد ائتلاف الجملة نفسها مع جاراتها من الجمل الأخرى نحويا وفكريا لتتكون من مجموع الكلمات والجمل صورة أدبية تسود فيها العلاقات النحوية والفكرية، بعمل من الفكر، وبدون هذه العلاقات النحوية والعمل الفكرى لا يكون الكلام جيدا فى نظمه، وإن حسنت مفرداته وجادت جملة على حدة.

"واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشيئ منها..

"وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه، فينظر فى الخبر إلى الوجوه التى تراها فى

قولك: زيد منطلق وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو منطلق..

"وفى الشرط والجزاء إلى الوجوه التى تراها فى قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج..

"وفى الحال إلى الوجوه التى تراها فى قولك: جاءنى زيد مسرعا، وجاءنى يسرع، وجاءنى وهو مسرع، أو وهو يسرع، وجاءنى قد أسرع، وجاءنى وقد أسرع..

"فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجئ به حيث ينبغى له..

"وينظر فى الحروف التى تشترك فى معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية فى ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك فى خاص معناه.. نحو أن يجئ بما فى نفى الحال، وبلا إذا أراد نفى الاستقبال، وبإن فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وبإذاء فيما علم أنه كائن..

"ويتصرف فى التعريف، والتنكير، والتقديم، والتأخير فى الكلام كله، وفى الحذف، والتكرار، والإضمار، والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة، وعلى ما ينبغى له..

"هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم ، إلا وهو معنى من معانى النحو قد أصيب به موضعه.."(٧١).

لم تعد قواعد النحو عند الشيخ عبدالقاهر الجرجانى جافة وقاصرة على الإعراب والحالات الشكلية للكلمات، وإنما أصبحت وسائل الصياغة الأدبية والبراعة النقدية، والتصوير الفنى، والإبداع الفكرى. يشير عبدالقاهر فى هذا النص القديم إلى دور كل من النحو كقواعد عامة ثابتة، ودور النظم كعلاقات بين الجمل فى التركيب الكلامى، فالنحو كعلم القواعد مهمته تأدية أصل المعنى مع سلامة الإعراب وأما النظم فذروة وراء ذلك. ومن هنا ندرك أن فكرة النظم عند عبدالقاهر ناضجة متكاملة، تتناول صور الكلام المختلفة للتعبير عن صور المعانى وتصويرها على نحو لا غموض فيه ولا إبهام.

وإذا كانت كل من درجتى الصحة والمزية فى النظم راجعة إلى المعانى النحوية، كان معنى ذلك أن معانى النحو عند عبدالقاهر درجتان.. درجة تجرى فيها هذه المعانى النحوية فى حدود الصحة المقررة فى علم النحو بالمعنى الشائع المعروف عند النحاة كصحة وسلامة الإعراب كمامرّ ـ ودرجة تجرى فيها هذه المعانى فى ميدان التخير والاختيار، وبعبارة أخرى فى ميدان النحو البلاغى النقدى الذى فتح بابه عبدالقاهر والذى تضمته نظريته فى النظم أو العلاقات.

ويرى عبدالقاهر كذلك فروقا كبيرة بين صور الخبر المختلفة، لكل صورة خبرية معنى وغرض لايصلح فيه إلا تلك الصورة المطلوبة، فمجرد الإخبار عن زيد بالانطلاق فى أمثلة عبدالقاهر، إن رضى به النحو فلن يرضى به النظم. إنه لا يبحث عن

مجرد الخبر وهو الانطلاق، وإنما يبحث عن صورته الأدبية والفنية، وصورته الأدبية تختلف فى الفعل عنها فى الاسم، وفى الاسم المعرف عن المنكر، وفى المتقدم عن المتأخر ولكل صورة من هذه الصور الأدبية مجال ومكان حسب طبيعة الغرض الذى يقصد إليه الناظم... ... وهكذا فى الخبر، وهكذا فى الشرط والحال والاستفهام والنفى وسائر حروف المعانى، والربط، والتعليق.

فمهمة النظم هى إدراك الفروق بين الصور التى يدرسها علم النحو، بمعناه الأوسع "ليعرف لكل من ذلك موضعه ويجئ به حيث ينبغى له"(٧٢).

فالفكر يتعلق بمعانى النحو، وهى تمثل العلاقات والارتباطات بين معانى الكلمة فى النفس، وإليها يستند ترتيب هذه المعانى فى النفس. وهذه العلاقات كلها هى من معانى النحو، رتبت معانى الكلمة على أساسها فى النفس ورتبت الكلمة على نسق معانيها ـ فى الخارج. ومن هنا كانت الألفاظ فى الخارج باعتبارها دالة على معانيها ـ تربطها العلاقات التى هى معانى النحو. ولا يتصور أن يكون للفظة تعلق بلفظة أخرى من غير أن يعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك، ويراعى هناك أمر يصل إحداهما بالأخرى، كمراعاة كون "نبك" جوابا للأمر في قوله "قفا نبك" حين قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل(٧٣).

"وكان تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثانى صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا

منه، أو تجئ باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثانى صفة، أو حالا أو تمييزا... ... وعلى هذا القياس"(٧٤). ذلك هو معنى النظم، فلا نظم فى الكلمة ولا ترتيب إلا بأن "يصنع بها هذا الصنيع ونحوه"(٧٥).

وقد قام عبدالقاهر بتلخيص العلاقات الجارية بين الكلمة والجمل على القانون النحوى، والتى بها يكون النظم فقال: "الكلمة اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام.. تعلق اسم باسم ، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"(٧٦). وقد قام عبدالقاهر بتوضيح هذه الطرق الثلاثة على غرار ما هو معروف فى علم النحو العربى.

ويقول الشيخ عبدالقاهر: إن فى الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم والمهارة التامة بطرقه والوقوف على قواعده الدقيقة البارعة، وعلى حقيقته. ومن ذلك قوله ﴿**واشتعل الرأس شيبا**﴾. فالمزية فى هذه الآية الكريمة لا ترجع إلى مجرد الاستعارة، ولكنها ترجع إلى المجئ بالاستعارة على طريق ما يسند فيه الفعل إلى الشيئ وهو فى المعنى لما هو من سببه ... ... وذلك إنا نعلم أن "اشتعل" للشيب فى المعنى وإن كان هو للرأس فى اللفظ(٧٧) والسر فى بلاغة النظم الذى جاءت عليه استعارة "اشتعل" للشيب أنه يفيد مع لمعان الشيب فى الرأس الذى هو أصل المعنى ـ الشمول، وأنه شاع فيه واستقر به حتى لم يبق من السواد شيئ. وهذا ما لا يكون إذا قيل: اشتعل شيب الرأس أو الشيب فى الرأس ، بل لا يوجب

اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة. ونظير ذلك أن تقول: اشتعل البيت نارا"(٧٨).

فالحسن فى النظم من حيث تصويره للمعنى أو الصورة الأدبية المدلول عليها فى النظم. ويشترط عبدالقاهر لجمال الصورة الأدبية، تألف الجمل للدلالة على المعنى حتى يتم وضع الصورة، ويتحقق الحسن فى النظم. كذلك يرى أن هناك محسنات تجرى فى الألفاظ كالطباق والإستعارة والأقسام البديعية، ولكن لا من حيث هى ألفاظ، بل من حيث هى محسنات لفظية فى الصياغة والسياق، ومن الخطأ أن نقف عندها من حيث هى ألفاظ مجردة. وقد مر عليك مثال الإستعارة فى قوله تعالى ﴿**واشتعل الرأس شيبا**﴾. وكذلك كما فى قول ابن المعتز:

وإنى على إشفاق عينى من العدا
لتجمع منى نظرة ثم أطرق

درجات النظم:

هل للنظم درجات؟ وإذا كان للنظم درجات فإنه من الممكن أن ترد إلى درجتين أساسيتين:

الأولى: لا تكاد تتجاوز وتتعدى مرحلة الصحة المطلقة والصواب المطلق.

الثانية: تتعدى وتتجاوز هذه المرحلة إلى الذروة فى الفضيلة والمزية والصنع والصياغة.

وذلك على "الرغم من أن الوجوه والفروق النحوية تجب رعايتها فى كل كلام منظوم حتى يستحق اسم النظم، وإلا سقطت مرتبته، وضاعت مزيته، فإن الحذق والمهارة كثيرا ما تصنع من تلك الوجوه صورا عجيبة ترفع بعض النظم على بعض وتجعله يجئ على طبقات، ويكون جماله على درجات"(٧٩).

وقد مثل عبدالقاهر الجرجانى للنوع الأول من النظم أو للدرجة الأولى له بأبيات البحترى فى الفتح بن خاقان:

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتح ضريبا(٨٠)
هو المرء أبدت له الحادثا ت عزما وشيكا(٨١) ورأيا صليبا
تنقل فى خلقى سؤدد سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف ان جئته صارخا وكالبحر إن جئته مستثيبا(٨٢)

فرونق هذه الأبيات فى نظر عبدالقاهر يرجع إلى أنه قدم وأخر وعرف ونكر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرر، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التى يقتضيها علم النحو، فأصاب فى كل ذلك(٨٣).

وقد عقد عبدالقاهر فصلا مستقلا للنوع أو للدرجة الثانية من النظم تحت عنوان: "فصل فى النظم يتحد فى الوضع ويدق فيه الصنع وتحت هذا العنوان يقول عبدالقاهر: "واعلم أن مما هو أصل فى أن يدق النظر، ويغمض المسلك فى توخى المعانى التى عرفت.. أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها فى بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج فى الجملة إلى أن تضعها فى النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال البانى، يضع بيمينه ههنا فى حال مايضع

بيساره هناك. نعم وفى حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين وليس لما شأنه يجيئ على هذا الوصف حد يحصره، وقانون يحيط به، فإنه يجيئ على وجوه شتى، وأنحاء مختلفة، فمن ذلك أن تزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء معا كقول البحترى:

إذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى

أصاخت إلى الواشى فلج بها الهجر

وقوله:

إذا اختبرت يوما ففاضت دماؤها

تذكرت القربى ففاضت دموعها[٨١]

وعلق الأستاذ الدكتور محمد نايل على هذا بقوله: "والتأمل فى الأبيات التى ذكرها، يرينا أن بها نوعا من النظام الهندسى كبناء يتماثل جناحاه تماثلا يضفى عليه الجمال والرواء، وأن حال الشاعر وهو ينظمها كان فعلا كحال البناء يضع بيمينه ههنا فى حال مايضع بيساره هناك..[٨٥].

تلك هى الطبقة العليا أو الدرجة العليا من النظم عند الشيخ عبدالقاهر الجرجانى. فما دون ذلك كقول الجاحظ: "جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق سببا، وحبب إليك التثبت، وزين فى عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عن الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنبك ذل اليأس، وعرفك ما فى الباطل من الذلة، وما فى الجهل من القلة"[٨٦].فلا يدخل عند عبدالقاهر ـ رحمة الله عليه ـ

فى درجات النظم .. وذلك لأنه "لا فضيلة حتى ترى فى الأمر مصنعا، وحتى تجد إلى التخير سبيلا، وحتى تكون قد استدركت صوابا"(٨٧).

تأثير نظرية النظم فى أفكار المحدثين:

إن نظرية العلاقات، أو نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجانى قد أثرت تأثيرا قويا بالغا فيمن أتى بعده من النقاد والأدباء والبلاغيين العرب فى العصور الأدبية والنقدية المختلفة، تناولها كل من تناول النقد وتاريخه، أو البلاغة وتطورها، أو الأدب وفنونه بالبحث والدراسة، أو بالفحص والمناقشة، أو بالتحقيق والمقارنة بين النظريات النقدية فى فنون النقد العربى، وأطوارها المختلفة، وفيما يلى أقوال بعض النقاد العرب ومفكريهم، وأدبائهم حول هذه النظرية فى العصر الحديث، ممن نرى فوق جبين أدبهم وفكرهم، بل فوق جبين نقدهم وبلاغتهم بصمات عبدالقاهر الجرجانى جلية واضحة، وذلك باعترافاتهم وأقوالهم التى تشهد على ذلك بعد أن أعجبوا بهذه النظرية أيما إعجاب. وستذكر الأجيال القادمة جيلا بعد جيل فضل هذا الرجل، وعلمه العظيم، وستبحث فى نتاج فكره فى مجالات النقد والبلاغة والأدب.

الدكتور محمد مندور:

يقول الدكتور محمد مندور، ويقرر "بأن الألفاظ لا توضع ولا تستعمل لتعيين الأشياء المتعينة بذاتها، وهذه هى الرمزية فى اللغة"(٨٨). ويقول: "فنظرية عبدالقاهر فى اللغة تتماشى مع ما وصل

إليه علم اللسان الحديث من آراء فقد قرر عبدالقاهر ما قرره علماء اللغة اليوم من رمزية اللغة"(٨٩).

ميخائيل نعيمة (مولود سنة ١٨٨٩م):

يقول الأديب ميخائيل نعيمة فى كتابه "الغربال": "على الأديب أن يجعل ألفاظه محاكية تجاربه، ورمزا لتلك التجارب، وعليه أن يجمع بين مقدرته فى التعبير عما فى نفسه بذلك الرمز، وبين مقدرة ذلك الرمز نفسه على نقل تجاربه إلى القراء... فما وظيفة الألفاظ فى الأدب الا أن تكون رمزا للأفكار"(٩٠) ويقول أيضا: "لا قيمة للغة فى ذاتها ونفسها، بل قيمتها فيما ترمز إليه من فكر وعاطفة"(٩١).

سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦م):

يقول شهيد الإسلام سيد قطب فى طريقة مهندس البلاغة العربية عبدالقاهر الجرجانى أثناء عرضه لقضية اللفظ والمعنى: "وإنا لنحسب أن عبدالقاهر قد توصل إلى رأى حاسم حين انتهى فى دلائل الإعجاز إلى أن اللفظ وحده لايتصوره عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ، إنما من حيث دلالته يدور البحث فيه"(٩٢).

ويقول هذا المفكر الإسلامى رحمه الله أيضا: "وأن المعنى وحده لايتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو خاطر فى الضمير. إنما من حيث إنه ممثل فى لفظ يدور البحث فيه. المعنى مقيد فى تحديده بالنظم الذى يؤدى به، فلا يمكن أن يختلف

النظمان ثم يتحد المعنى تمام الاتحـاد"[٩٣]. ومـن المعـروف أن رأي عبدالقاهر الجرجانى فى هذا الشأن حاسم بقوله: "فأما إذا تغير النظـم فلابد حينئذ من أن يتغير المعنى[٩٤] و "صور المعـانى لا تتغـير بنقلهـا من لفظ إلى لفظ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له فى اللغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معانى آخر"[٩٥].

الدكتور إبراهيم أنيس:

وقد أشاد الدكتور إبراهيم أنيس بعلم عبدالقاهر وفضله الكبير فى البلاغة والنقد فى كتابه "مـن أسـرار اللغـة" وذلـك بقولـه: "حيـن نحاول البحث عن نظام الجملة العربية فى كتب القدماء من اللغويـين نراهم يشيرون إليه فى ثنايا كتبهم إشارة سريعة تكاد تنتظم فى معظـم أبواب النحو، والبعض من فصول البلاغيين. ويندر أن نرى بينهم مـن قصر على مثل هذا البحث كتابا مستقلا أو فصـلا مـن كتـاب، حتـى جاء عبدالقاهر الجرجانى فعني بهذا الأمر كـل العنايـة"[٩٦]. ويقـول: "كان عبدالقاهر يهدف بعلاجـه لنظـم الكـلام إلـى أمـور أوسـع ممـا نهدف إليه فى هذا الفصـل، ومـا يهـدف إليـه اللغـوى الأوربـى حيـن يعالج ترتيب الكلمات فى العمل، فيعقد فصلا تعرض فيه لأنـواع مـن البديع وطرق البيان، وبعد فيه عن النظام النحـوى والـتركيب اللغـوى

من حيث صحته أو خطإه، فهو يتلمس فى النظم نواحي من الجمال، وأمورا لطيفة جميلة"(٩٧).

الدكتور الشهيد صبحى الصالح:

وقد أشاد الدكتور صبحى الصالح رحمه الله بأعمال عبدالقاهر الجرجانى العلمية والأدبية والبلاغية والنقدية، وبخاصة فى الإعجاز القرآنى، وذلك فى كتابه القيم "مباحث فى علوم القرآن" حيث يقول: "ولقد كان الإعجاز القرآنى خليقا أن يثير فى الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية، يتصدى لها العلماء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية وعن أسلوب القرآن الفذ فى التصوير والتعبير، وبذل أولئك العلماء جهودا مشكورة، وقاموا بمحاولات مضنية"... ولكنهم وقفوا غالبا عند النص الواحد، إلى أن وصل الأمر لعبد القاهر، فكان "ذواقة للأسلوب القرآنى، حتى أوشك أن يسبق عصره فى لمحاته الموفقة التى نفذ بها إلى إدراك الجمال الفنى فى كتاب الله، واستمع إليه وهو يفسر هذه الصورة البارعة فى قوله "واشتعل الرأس شيبا"(٩٨). فيعجبك منه بلا ريب حسه المرهف الدقيق، وفهمه طريقة القرآن المفضلة فى التعبير والتصوير"(٩٩).

مصطفى صادق الرافعى (١٨٨٠-١٩٣٧م):

ونرى الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ينظر فى التركيب إلى نظم الكلم، وتأليفها، ثم إلى تأليف النظم كليا داخل إطار عام، أثناء

دراسته وعنايته بالنظم القرآنى، وذلك فى كتابيه "إعجاز القرآن" و"تاريخ آداب العرب" حيث يقول: "فمن هنا يعلق بعضه على بعض، وخرج فى معنى تلك الروح صفة واحدة هى صفة إعجازه (أى القرآن) فى جملة التركيب كما عرفت"، ويقول أيضا: "... إنه مما لا يتعلق به أحد، ولا يتفق على ذلك الوجه الذى هو فيه، لترتيب حروفه باعتبارها من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعض مناسبة طبيعية، فى الهمس والجهر، والشدة والرخاء والتفخيم والترقيق"(١٠٠). ويرى الرافعى أن القرآن الكريم على نمط واحد فى القوة والإبداع، وأن مرد ذلك إلى روح التركيب التى تنعطف عليها جوانب الكلام الإلهى فى القرآن الكريم، وهذه الروح كما يقول الرافعى: "لم تعرف قط فى كلام عربى غير القرآن، وبها انفرد نظمه"(١٠١).

وهكذا كانت أعمال عبدالقاهر الجرجانى البلاغية والنقدية ميدانا واسعا للباحثين المحدثين والمعاصرين فى مسائل الإعجاز القرآنى، والمباحث اللغوية، وفى قضية اللفظ والمعنى، وزادا علميا ونقديا يرجع إليه الكل ليستمد منها دفعة جديدة فى مجال البحث العلمى البلاغى، وبخاصة فى كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

ويلاحظ أن نظرية النظم هذه ليست من اختراع عبدالقاهر الجرجانى وحده، بل العالم اللغوى أحمد بن محمد بن إبراهيم

الخطابى البستى المتوفى سنة ٣٨٨هـ فى بست بغرب أفغانستان قد ناقش هذه القضية وبيّنها بنظرته الثاقبة، و أودع مفتاح نظرية النظم فى كتابه "بيان إعجاز القرآن" وقد انتبه لنظرية الخطابى هذه عبدالجبار الذى أضاف إليها آراء جديدة، وأكدها عبدالقاهر فى كتابه دلائل الإعجاز. وهكذا نجد أن دراسة الخطابى هذه متممة لدراسة الرمانى فى المجالين الإعجاز القرآنى والدراسات اللغوية. ونظرية الخطابى الثاقبة فى النظم متقدمة على أعمال الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما.

يقول الخطابى البستى فى عناصر الأسلوب "وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحكمة فيها أكثر لأنها لحام الألفاظ، وزمام المعانى، وبه ينتظم أخذ الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة فى النفس يتشكل بها البيان، وإذا كان الأمر فى ذلك على ما وصفنا فقد علم أنه ليس العبرة بذرب اللسان وطلاقته كافيا لهذا الشأن، ولاكل من أوتى حظا من بديهة"(١٠٢).

وفى نظرته إلى الألفاظ والمعانى وإلى دور كل منهما فى النظم يقول الخطابى البستى: "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا، وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه"(١٠٣).

هـــوامـش

١- حبيبى: **تاريخ ادبيات البشتو** ١: ٤٦-٤٧، **وكتاب الهند** للبـيرونى ١: ١٧٨، ومجلة البشتو ٥، عدد أكتوبر ١٩٨٧م ويراجع ايضا:

LANJUAGEOE, BY LEONARD BLOOMFIELD, NEW YORK.
HENRY HOLT AND COMPANY FED 1956.

٢- **تاريخ ادبيات البشتو** ١: ٤٦-٤٧، طبعة كابل ١٣٢٥هـ ش.

٣- الدكتور محمد نايل ـ العلاقات ٩.

٤- المرجع السابق.

٥- الدكتور محمد نـايل: **نظرية العلاقات أو النظم عنـد عبدالقـاهر الجرجـانى والنقد العربى الحديث** ٩.

٦- الدكتور محمد غنيمى هلال ـ **النقـد الأدبـى الحديـث** ٢٥١، دار الثقافـة ودار العودة بيروت ١٩٧٣/٧/١م.

٧- المستشرق غوستاف فون غرنباوم ـ **دراسات فى الأدب العربى** ـ مترجم ص ١٢.

٨- المرجع السابق.

٩- قدامة بن جعفر: مؤلف كاتب من البلغاء الفصحاء، كان نصرانيا أسلم فـى أيـام الخليفة المكتفى، وكان من العلمـاء الممتـازين المتقدميـن فـى علـوم المنطـق، توفى فى بغداد. من آثاره العلمية: **الخراج، ونقد الشعر، ونقد النثر**، راجع رأيه فى هذه القضية ص ٢٧و٣٥ من هذا الكتاب.

١٠- المستشرق غوستاف فون غرنباوم ـ **دراسات فى الأدب العربى** ١٠٠.

١١- الدكتور محمد نايل: **العلاقات**، بتصرف.

١٢- الدكتور محمد نايل: **العلاقات** ، بتصرف.

١٣- الدكتور محمد نايل: **العلاقـات أو النظـم عنـد عبدالقـاهر الجرجـانى والنقـد العربى الحديث** نقلا عن كتاب **قواعد النقد الأدبى** للناقد الإنجليزى لاسل ابر كرومبى، ترجمة الدكتور محمد عوض محمد.

١٤- النابغة الذبيانى (ت نحو ٦٠٤) من فحول الشعراء فى العصر الجاهلى، ذو عقل راجح، وقوة خيالية نادرة، وشاعرية رقيقة، أقام فى بلاط ملوك الحيرة، وملوك غسان. من أشهر شعره الغسانيات والاعتذاريات. وقد طبع ديوانه عدة مرات.

١٥- أحمد أمين ـ المهدى والمهدية ـ سلسلة اقرأ اغسطس ١٩٥١م.

١٦- أحمد حسن الزيات: **دفاع عن البلاغة** ص ٧٣-٧٤ الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

١٧- الدكتور محمد غنيمى هلال: **النقد الأدبى الحديث** ص ٢٥١-٢٩٠، والدكتور أحمد بدوى: **أسس النقد الأدبى عند العرب** ٣٥٧-٣٦٧.

١٨- الدكتور عز الدين إسماعيل: **الأسس الجمالية فى النقد العربى** ١٨١، وشوقى ضيف: **النقد الأدبى فى كتاب الأغانى** ٥٤.

١٩- ابن قتيبة: هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، ولد بالكوفة، وجلس للقضاء فى الدينور بخراسان، من فضلاء اللغة والنحو والشعر، من مؤلفاته: **غريب القرآن، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، وأدب الكاتب، وكتاب المعارف، وعيون الأخبار، ودلائل النبوة،** وإلى غير ذلك من المصنفات.

٢٠- ابن قتيبة ـ **الشعر والشعراء.**

٢١- **الشعر والشعراء** ٦٤-٦٩، والدكتور البسيونى أحمد منصور: **الخصومة بين القديم والجديد** ٢٢٧-٢٢٨.

٢٢- **عيار الشعر** ٨٣-٨٣، **والخصومة بين القديم والحديث** ٢٣٠.

٢٣- **كتاب التوحيد** ١١، **والنظرية النقدية عند العرب** ١٧٥.

٢٤- **دلائل الإعجاز** ٩٣-٩٧، **والنظرية النقدية** ١٧٥.

٢٥- نقلا عن الدكتور البسيونى أحمد منصور: **الخصومة بين القديم والحديث فى النقد العربى القديم** ١٨٦.

٢٦- راجع ص ٢٥ من هذا الكتاب.

٢٧- الجاحظ: **الحيوان** ٢: ١٣١-١٣٢، وراجع الدكتور محمد غنيمى هلال: **النقد الأدبى الحديث** ٢٥٦- ٢٥٧.

٢٨- الجاحظ: **البيان والتبيين** ١: ١٤٤، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ٢٠.

٢٩- **البيان والتبيين** ١: ١٩٧، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ٢٠.

٣٠- راجع **البيان والتبيين** ١: ٧٩، والدكتورة هند حسين طه: **النظرية النقدية عند العرب** ١٧٥.

٣١- راجع **البيان والتبيين** ١: ٧٧، **والنظرية النقدية عند العرب** ١٧٨.

٣٢- **الخصومة بين القديم والجديد** ١٨٣.

٣٣- الدكتور محمد غنيمى هلال: **النقد الأدبى الحديث** ٢٥٦-٢٥٧.

٣٤- قدامة بن جعفر: **نقد الشعر** ١٠١.

٣٥- محمد غنيمى هلال: **النقد الأدبى الحديث** ٢٥٨.

٣٦- أبو على أحمد بن الحسن المرزوقى: **شرح ديوان الحماسة** ٥-٦، **والنقد العربى الحديث** ٢٥٨، والدكتور مصطفى الشكعة: **مناهج التأليف عند العلماء العرب** ـ قسم الأدب ٤٩٥، والدكتور محمد زغلول سلام: **تاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجرى ٩٩ وما بعدها**، دار المعارف بمصر.

٣٧- ابن سنان الخفاجي ـ **سر الفصاحة** ٧٢-٨٢، **والنقد الأدبى الحديث** ٢٥٩، **وتاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجرى ٢٥٣، وما بعدها.**

٣٨- الدكتور البسيونى أحمد منصور: **الخصومة بين القديم والجديد** ٢١١-٢١٥.

٣٩- أبو هلال العسكرى: **كتاب الصناعتين** ١٥٢، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٠- **الخصومة بين القديم والجديد** ٢٣٦.

٤١- **تاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجرى** ٣٤٢-٣٦٠.

٤٢- الجاحظ: **البيان والتبيين** ١: ١٣٤-١٣٩، **والنقد الأدبى الحديث** ٢٦٣، **وتاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجرى** ٢٧.

٤٣- المرجعين السابقين. ويلاحظ أن مثل هذه العبارة قد وردت فى **كتاب الصناعتين** لأبى هلال العسكرى ١٥٢.

٤٤- ابن رشيق: **العمدة** ١: ١٦٣، والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى: **دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه** ١٠١.

٤٥- **العمدة** ١: ٨٠، وأحمد بدوى: **أسس النقد الأدبى عند العرب** ٣٦٣، الطبعة الثانية، والدكتور محمد زغلول سلام: **تاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجرى ١٢٨ وما بعدها**.

٤٦- **العمدة** ١: ١٢٧، **والخصومة بين القديم والجديد** ٢٥٠.

٤٧- **العمدة** ١: ٨٠.

٤٨- الدكتور أحمد بدوى: **أسس النقد الأدبى عند العرب** الطبعة الثانية ١٩٦٠م نهضة مصر القاهرة.

٤٩- راجع **صبح الأعشى** ٢: ١٩٢، **والنظرية النقدية عند العرب** ١٧٦.

٥٠- المرجعين السابقين.

٥١- شارل بلوندل: **مقدمة علم النفس الاجتماعى** ٧٩، **والخصومة بين القديم والجديد** ٢٤٤/٢٤٥.

٥٢- **دلائل الإعجاز** ص ٤٣.

٥٣- راجع ص ٢٢-٢٣ من هذا الكتاب.

٥٤- الدكتور درويش الجندى - **نظرية عبدالقاهر فى النظم** ١٨، وكذلك **مقالات الإسلاميين** للأشعرى ٢: ٢٤٧.

٥٥- الدكتور محمد نايل: **نظرية العلاقات** ١٣.

٥٦- أبو حيان التوحيدى: **المقابسات** ٦٨.

٥٧- الدكتور محمد نايل: **نظرية العلاقات** ١٣.

٥٨- الدكتور محمد نايل: **نظرية العلاقات** ١٢.

٥٩- الدكتور درويش الجندى: **نظرية عبدالقاهر فى النظم** ٣٥.

٦٠- الدكتور محمد غنيمى هلال: **النقد الأدبى الحديث** ٢٧٠-٢٧١.

٦١- عبدالقاهر الجرجانى: **دلائل الإعجاز** ٣٧.

٦٢- **دلائل الإعجاز** ٥٠-٥١، وراجع أيضا أحمد الشايب: **أصول النقد الأدبى** ٢٤٦ وما بعدها.

٦٣- **دلائل الإعجاز** ٢٠٠.

٦٤- المرجع السابق ٤٣.

٦٥- **دلائل الإعجاز** ٤٤.

٦٦- الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى: **دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه** ١٠١-١٠٢.

٦٧- راجع ٤٧ من هذا الكتاب.

٦٨- الدكتور محمد غنيمى هلال: **النقد الأدبى الحديث** ٢٧٥.

٦٩- عبدالقاهر الجرجانى: **دلائل** ٥٥، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجى.

٧٠- الدكتور محمد نايل: **نظرية العلاقات** ـ بتصرف.

٧١- عبدالقاهر الجرجانى: **دلائل الإعجاز** ٨١- ٨٣، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ٦٣-٦٥.

٧٢- الدكتور محمد نايل: **نظرية العلاقات** ٢٨-٣٩.

٧٣- **دلائل الإعجاز** ٣٦٣، ٤١٠، ٤١٩، ٤٦٨، مكتبة الخانجى.

٧٤- المرجع السابق: ٥٥، وراجع ص ٥٦ من هذا الكتاب.

٧٥- **دلائل الإعجاز** ٥٥، مكتبة الخانجى بالقاهرة.

٧٦- **دلائل الإعجاز** ٤، مكتبة الخانجى بالقاهرة.

٧٧- المصدر نفسه ١٠٠.

٧٨- **دلائل الإعجاز** ١٠٠-١٠٢، القاهرة، مكتبة الخانجى.

٧٩- **نظرية العلاقات** ٣٣.

٨٠- الضريب: النوع من الشيئ والمثل والشكل والطبيعة والخلق وجمعه ضرائب.

٨١- الوشيك: السريع، والصليب: الشديد.

٨٢- **دلائل الإعجاز** ٥٨، القاهرة، مكتبة الخانجى.

٨٣- الدكتور محمد نايل: **نظرية العلاقات** ـ نقلا عن الجرجانى: **دلائل الإعجاز** ٨٥ تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجى.

٨٤- **دلائل الإعجاز** ٩٣.

٨٥- **نظرية العلاقات** ص ٢٤.

٨٦- **دلائل الإعجاز** ٩٧، مكتبة الخانجى، والجاحظ: **مقدمة كتاب الحيوان** ١: ٣.

٨٧- **دلائل الإعجاز** ٩٨.

٨٨- الدكتور محمد مندور: **الميزان الجديد** ١٤٢، و وليد محمد مراد: **نظرية النظم وقيمتها العلمية فى الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجانى** ١٧١.

٨٩- المرجعين السابقين.

٩٠- ميخائيل نعيمة: **الغربال** ١٢٧، و وليد محمد مراد: **نظرية النظم** ١٧١.

٩١- الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى: **دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه ٩٩**.

٩٢- سيد قطب: **التصوير الفنى فى القرآن** ١٩٣، **ونظرية النظم** ١٧٦/١٧٨.

٩٣- المرجعين السابقين.

٩٤- **دلائل الإعجاز** ١٧٥، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ١٧٧.

٩٥- المرجعين السابقين.

٩٦- الدكتور إبراهيم أنيس: **من أسرار اللغة** ٢٨٤، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ١٧٨.

٩٧- الدكتور إبراهيم أنيس: **من أسرار اللغة** ٢٨٤، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ١٧٨.

٩٨- سورة مريم ٤.

٩٩- الدكتور صبحى الصالح: **مباحث فى علوم القرآن** ٣١٣-٣١٤، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ١٨١-١٨٢.

١٠٠- مصطفى صادق الرافعى: **تاريخ آداب العرب** ٢: ٢٢٥، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ١٨٢-١٨٣.

١٠١- مصطفى صادق الرافعى: **إعجاز القرآن** ٨٢، والدكتور صبحى الصالح: **مباحث فى علوم القرآن** ٣١٣، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ١٨٣.

١٠٢- محمد زغلول سلام: **أثر القرآن فى تطور النقد العربى** ٢٥٩، وعبدالكريم الخطيب: **الإعجاز فى دراسات السابقين** ١٨٨، و وليد محمد مراد: **نظرية النظم وقيمتها العلمية** ٢٧-٢٩.

١٠٣- عبدالكريم الخطيب: **الإعجاز فى دراسات السابقين** ١٨٩، **ونظرية النظم وقيمتها العلمية** ٢٧-٢٨.

مراجع البحث ومصادره

١- ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ١٩٤٨م.

٢- ابن رشيق القيروانى، أبو على، الحسن الأزدى: **العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محيى الدين عبدالحميد، بيروت، دار الجيل، سنة ؟

٣- ابن طباطبا، محمد: **عيار الشعر**، تحقيق طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام، القاهرة، المطبعة التجارية، ١٩٥٦م.

٤- الأشعرى، أبو الحسن: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق محيى الدين عبدالحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

٥- الأشعرى، أبو الحسن: **كتاب التوحيد**.

أمين، أحمد: **المهدى والمهدوية**، سلسلة اقرأ، أغسطس ١٩٥١م.

٦- أنيس، إبراهيم (الدكتور): **دلالة الألفاظ**، القاهرة، ١٩٥٩م.

٧- أنيس، إبراهيم (الدكتور): **من أسرار اللغة**، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية.

٨- بدوى، أحمد أحمد (الدكتور): **أسس النقد الأدبى عند العرب**، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م.

٩- بلوندل، شارل: **مقدمة علم النفس الاجتماعى**، ترجمة محمود قاسم وإبراهيم سلامة.

١٠- التوحيدى، أبوحيان: **المقابسات**، تحقيق حسن السندوبى، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

١١- الجاحظ، أبو عثمان: **البيان والتبيين**، تحقيق محمد عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٢- الجاحظ، أبو عثمان: **الحيوان**، دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣م.

١٣- الجرجانى، عبدالقاهر: **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر القاهرة، مكتبة الخانجى سنة ؟

١٤- الجرجانى، عبدالقاهر: **أسرار البلاغة**، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

١٥- الجندى، درويش (الدكتور): **نظرية عبدالقاهر فى النظم - بلاغة ونقد**، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٦- حبيبى، عبدالحى: **تاريخ أدبيات البشتو** ١، كابل ١٣٢٥هـ ش، باللغة الأفغانية.

١٧- حبيبى، عبدالحي: **لغة البشتو**، القاهرة.

١٨- الخفاجى، ابن سنان: **سر الفصاحة**، تحقيق عبدالمتعال الصعيدى، مصر، ١٩٥٣م.

١٩- خفاجى، محمد عبدالمنعم (الدكتور): **دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه**، دار الطباعة المحمدية - الأزهر - القاهرة.

٢٠- الدينورى، ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م.

٢١- الرافعى، مصطفى صادق: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مراجعة محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة ١٣٨٤هـ - ١٩٥٦م.

٢٢- سلام، محمد زغلول (الدكتور): **تاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجرى**، القاهرة، دار المعارف، سنة ؟

٢٣- الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبى**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة ١٩٧٣م.

٢٤- الشكعة، مصطفى (الدكتور): **مناهج التأليف عند العلماء العرب**، ١- قسم الأدب، بيروت، دار العلم للملايين الطبعة الرابعة ١٩٨٢م.

٢٥- الصالح، صبحى: **مباحث فى علوم القرآن**، بيروت، دار العلم للملايين ط٩، سنة ١٩٧٧م.

٢٦- طبانة، بدوى أحمد (الدكتور): **قضايا النقد الأدبى**، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢٧- طه، هند حسين (الدكتورة): **النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجرى**، بغداد، دار الرشيد للنشر ١٩٨١م.

٢٨- غرنباوم، غوستاف فون: **دراسات فى الأدب**.

٢٩- عتيق، عبدالعزيز (الدكتور): **فى النقد الأدبى**، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

٣٠- العسكرى، أبو هلال: **الصناعتين**، تحقيق الدكتور مفيد قيمى، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣١- عز الدين، إسماعيل (الدكتور): **الأسس الجمالية فى النقد العربى**، دار الفكر العربى، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤م.

٣٢- العقاد، عباس محمود: **مراجعات فى الأدب والفنون**.

٣٣- العقاد، عباس محمود: **اللغة الشاعرة - مزايا الفن والتعبير فى اللغة العربية**، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣٤- قطب، سيد: **النقد الأدبى - أصوله ومناهجه**، بيروت، والقاهرة، دار الشروق سنة ؟

٣٥- القلقشندى، أحمد بن على: **صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء**.

٣٦- مراد، وليد محمد: **نظرية النظم وقيمتها العلمية فى الدراسات اللغوية**، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٧- المرزوقى، أبو على أحمد بن الحسن: **شرح ديوان الحماسة**.

٣٨- المصرى، ابن أبى الإصبع: **تحرير التحبير**.

٣٩- مندور، محمد (الدكتور): **النقد المنهجى عند العرب**، القاهرة، دار النهضة، مصر، سنة ؟

٤٠- منصور، البسيونى أحمد: **الخصومة بين القديم والجديد فى النقد العربى القديم**، الكويت، مكتبة الفلاح ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤١- ناصف، مصطفى (الدكتور): **نظرية المعنى فى النقد العربى**، بيروت، دار الأندلس، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٢- نايل، محمد، وخفاجى عبدالمنعم (الدكتور): **آراء واتجاهات فى النقد**، القاهرة، سنة ؟

٤٣- نايل، محمد (الدكتور): **نظرية العلاقات أو النظم بين عبدالقاهر والنقد العربى الحديث**، القاهرة، سنة ؟

٤٤- نعيمة، ميخائيل: **الغربال**.

٤٥- هلال، محمد غنيمى: **النقد الأدبى الحديث**، بيروت، دار الثقافة، ودار العودة، ١٩٧٣م.

*****